المقدمة

الحمد لله الهادي إلى الصراط المستقيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ρ وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

لقد هاجم المستشرق الإنجليزي مارغليوث المحدثين الذين رحلوا في طلب الحديث النبوي الشريف، وزعم أن الرحلة في طلب الحديث ما هى إلا بدعة اختلقها الصحابة في أواخر عهدهم، وتبناها التابعون ومن بعدهم من المسلمين. كما زعم أن المحدثين الذين رحلوا في طلب الحديث كانوا يختلقون الأحاديث وينسبونها زوراً وبهتاناً لرسول الله ρ .

ولقد زعم أيضاً أن الرحلة في طلب الحديث لم يكن لها أثر يذكر في جمع وتوثيق السنة النبوية الشريفة . ولقد وردت هذه الافتراءات وغيرها في مؤلفة المسمي " مراحل النمو الأولى للديانة المحمدية " حيث جاء فيه ما ترجمته كالآتي: "إن جمع الحديث كان سمة بارزة لأبناء الجيل الثاني بعد وفاة محمد ρ ، ولقد ظل البحث عن الحديث والجري وراءه يأخذ طريقه إلى الظهور خاصة بعد السخافات التي ابتدعت وسميت بالرحلة في طلب العلم . إن تلك السخافات المسماة بطلب العلم ابتدعها الصحابة في آخر عصرهم . ولقد كان لتناثر الصحابة في أرجاء الإمبراطورية الإسلامية أثر كبير في ظهور هذه البدعة، وبخاصة بعد العصر الذي يعرف عند المسلمين بعصر الفتوحات الإسلامية.

لكن على الرغم من رحلة المحدثين لا يستطيع أحد أن يجزم أن الأقوال التي تناقلها الرواة فيما بينهم هى فعلاً من أقوال رسولهم .... إلخ "[1].

---

(1) Margoliouth . D. S: The Early Development of Mohammedanism, Third Edition , London , 1983.

فهل كانت الرحلة في طلب الحديث النبوي الشريف بدعة ابتدعها الصحابة ؟ أم أن لها أصلاً في الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة ؟ وما هي الأسباب التي أدت إلى الرحلة في طلب الحديث ؟ وما هي الأهداف التي كان الرحالة من المحدثين يسعون إلى تحقيقها ؟ وإلى أي مدى نجحوا في تحقيق تلك الأهداف ؟ وما هي المناهج التي اتبعوها في جمع وتوثيق السنة النبوية الشريفة؟ وما هي النتائج الإيجابية التي ترتبت على رحلة المحدثين فيما يتعلق بجمع وتحقيق وتوثيق السنة النبوية الشريفة ؟.

للإجابة على هذه الأسئلة وأمثالها سوف أتناول –بإذن الله –موضوع: "الرحلة في طلب الحديث وأثرها في توثيق السنة النبوية الشريفة" في ضوء الموضوعات التالية :–

1– الفرق بين السنة والبدعة .
2– نشأة الرحلة في طلب الحديث .
3– أهداف الرحلة في طلب الحديث .
4– نماذج من معاناة المحدثين وصبرهم على مشاق الرحلة في طلب الحديث.
5– مناهج المحدثين الذين رحلوا في طلب الحديث الشريف.
6– نتائج الرحلة في طلب الحديث الشريف.
7– تفنيد افتراءات مارغليوث على الرحلة في طلب الحديث.
8– خاتمة البحث.

1– الفرق بين السنة والبدعة:

إن السنة والبدعة أمران متقابلان في الشرع ، ولقد حض النبي ρ على إتباع السنة وحذر من البدع كما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة ومن أمثلة ذلك ما يلي :–

الحديث الذي أخرجه الإمام الترمذي بسنده من حديث العرباض بن سارية τ قال: "وعظنا رسول الله ρ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب،

فقال رجل: إن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله ؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي ، فإنه من يعش منكم يرى أختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور فإنه ضلالة ، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ(1)"(2).

والحديث الذي أخرجه الإمام مسلم بسنده من حديث جابر بن عبد الله τ قال: "كان رسول الله ρ إذا خطب أحمرت عيناه ، وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم ، ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ، ثم يقول : أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ومن ترك مالاً فلأهله، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ وعليّ "(3).

والسنة في لغة العرب(4) هى الطريقة والسيرة والجمع سنن ، مثل غرفة وغرف . ولقد وردت بهذا المعنى أيضاً في الحديث الشريف الذي أخرجه الإمام البخاري بسنده من حديث أبي سعيد الخدري τ عن النبي ρ قال:"لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم . قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال: فمن ؟"(5).

---

(1) النواجذ : بالذال للعجمة : الأنياب ، وقيل : أقصى الأضراس ، وهى أربعة في أقصى الأسنان بعد الأرحاء، وتسمى ضرس الحُلم لأنه ينبت بعد البلوغ ، لسان العرب 513/3 .

(2) أخرجه الترمذي في كتاب العلم ، باب الأخذ بالسنة 144/10. قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح (من عارضة الأحوذي) .

(3) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب خطبته ρ في الجمعة 153،154/6 (من صحيح مسلم بشرح النووي).

(4) انظر مادة : سنن في لسان العرب 225/13، 226، وتاج العروس 244/243/9.

(5) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ρ : لتتبعن سنن من كان قبلكم 300/13 (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري) .

والمراد بالسنة في هذا الحديث الشريف : الطريقة كما أفاد بذلك ابن حجر حيث قال: "السنن : بفتح السين للأكثر ، وقال ابن التين : بضمها، وقال المهلب : الفتح أولى لأنه الذي يستعمل فيه الذراع والشبر وهو الطريق"[1] .

أما السنة في اصطلاح المحدثين[2] فهي : كل ما أثر عن النبي ρ من قول، أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة خلقية أو خلقية ، وبحسب رأي الجمهور فإن السنة تأتي بمعنى الخبر والأثر.

والسنة في اصطلاح الفقهاء هي : " ما ثبت عن النبي ρ من غير افتراض ولا وجوب ، وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة ، وقد تطلق عندهم على ما يقابل البدعة ، ومنه قولهم : طلاق السنة كذا ، وطلاق البدعة كذا "[3].

أما البدعة كما وردت في اللغة[4] فهي أسم هيئة من الإبتداع كالرفعة من الإرتفاع . وفلان بدع في هذا الأمر : أي هو أول من فعله ، فيكون أسم الفاعل بمعنى مبتدع . وبدعة تبديعاً نسبة إلى البدعة ، ولقد ورد في لسان العرب حول تعريف البدعة ما يلي : " بدع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه: أنشأه وبدأه . وبدع الركية أي استنبطها وأحدثها . وركي بديع أي حديثة الحفر –والبديع والبدع الشيء الذي يكون أولاً ، وفي التنزيل : (**قُلْ ما كنت بدعاً من الرسل**)[5]، أي: ما كنت أول من أرسل ، قد أرسل قبلي رسل كثير.

استبدعه : عده بديعاً، والبديع : المحدث العجيب ، والبديع المبدع. وأبدعت الشيء: اخترعته لا على مثال . والبديع من أسماء الله تعالى لابداعه الأشياء واحداثه إياها ، وهو البديع الأول قبل كل شيء. ويجوز أن يكون بمعنى مبدع أو يكون من معنى بدع الخلق أي بدأه ، والله تعالى كما

(1) فتح الباري 301/13 .
(2) انظر تدريب الراوي : 4 قواعد التحديث 61 ، 62 توجيه النظر : 3 .
(3) إرشاد الفحول : 31 .
(4) انظر مادة بدع في للمصباح للنير : 83 .
(5) سورة الأحقاف : 9 .

قال سبحانه: (**بديع السموات والأرض**) [1]: أي خالقها ومبدعها فهو سبحانه الخالق المخترع لا على مثال سابق" [2].

والبدعة[3] في اصطلاح المحدثين هى الحدث في الدين بعد الإكمال، أو ما استحدث بعد النبي ρ من الأهواء والأعمال . ولقد سبق أن رأينا في الحديث الشريف الذي أخرجه مسلم –وهو متفق عليه–[4] إن شر الأمور هى المحدثات. والمحدثات هى البدع كما أفاد بذلك ابن حجر مستنداً على آراء بعض العلماء حيث جاء في مؤلفه (فتح الباري) حول هذا الموضوع ما يلي: "والمحدثات جمع محدثة والمراد بها ما أخذ وليس له أصل في الشرع ، ويسمى في عرف الشرع بدعة، فالبدعة في عرف الشرع مذمومة ، وكذلك القول في المحدثة. وفي الأمر المحدث الذي ورد في حديث السيدة عائشة (رضى الله عنها): من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد[5]... وقد ثبت عن ابن مسعود τ أنه قال: أصبحتم على الفطرة وأنكم ستحدثون، ويحدث لكم، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالهدي الأول ... والمراد بقوله :كل بدعة ضلالة : ما أحدث ولا دليل له من الشرع أي: ولا دليل يصح الاستدلال به من الشرع.

ولقد أخرج الإمام مسلم بسنده من حديث جرير بن عبد الله البجلي τ قال : " جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ρ عليهم الصوف فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة فحث الناس

---

(1) سورة البقرة : 117 .

(2) لسان العرب : 6/8 .

(3) فيما يختص بالبدعة يمكن الرجوع إلى كتاب : " البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها " للدكتور/ عزت علي عطية ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1980م .

(4) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ρ من حديث عبد الله τ 249/13 (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري) .

(5) أخرجه البخاري في كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود 301/5 (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري) .

على الصدقة فأبطئوا عنه حتى رُئى ذلك في وجهه قال : ثم أن رجلاً من الأنصار جاء بصرة من ورق ، ثم جاء آخر ، ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه ، فقال رسول الله ρ: من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء "[1] .

ولقد أخرج الإمام مسلم أيضاً بسنده من حديث أبي هريرة τ أن رسول الله ρ قال:" من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً "[2].

إن هذين الحديثين فيهما مقابلة صريحة بين السنة والبدعة حيث أن الذي يسن سنة حسنة يؤجر ويثاب ويمدح شرعاً ، بينما نجد أن المبتدع يعاقبه الله على ابتداعه ويذم شرعا . ولقد بين النووي في شرحه للحديثين السابقين : أن سن الأمور السيئة محرم في الشرع حيث قال : " هذان الحديثان صريحان في الحث على استحباب سن الأمور الحسنة وتحريم سن الأمور السيئة "[3].

2- نشأة الرحلة في طلب الحديث:

(1) أخرجه مسلم في كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة 226/16، 227 (من صحيح مسلم بشرح النووي)

(2) أخرجه مسلم في كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة 226/16، 227 (من صحيح مسلم بشرح النووي)

(3) شرح النووي لصحيح مسلم : 227/226/16 .

إن الرحلة في طلب الحديث النبوي الشريف لها أصل ثابت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . ومما يدلنا على ذلك أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد حثا المسلمين على طلب العلم والتفقه فيه وأمرا بتلقيه ونشره بين الأمم ، وقد أدى هذا بدوره إلى دفع المحدثين إلى الرحلة في طلب الحديث النبوي الشريف محاولة منهم لجمعه وتدوينه وتحقيقه وتوثيقه : قال الله تعالى في كتابه العزيز : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)[1].

إن هذه الآية الكريمة تحث على طلب العلم والتفقه فيه والسعي إليه بكل وسيلة ممكنة والجهاد في سبيل نشره قرآناً كان أم سنة ،كما أوضح ذلك المفسرون قديماً وحديثاً ، ومن أمثلة ذلك ما أورده العلامة أبو السعود في تفسيره للآية السابقة حيث أوضح ما يلي : " ليتفقهوا في الدين أي ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيله ... وليجعلوا غاية سعيهم ومرمى غرضهم من ذلك إرشاد القوم وإنذارهم إذا رجعوا إليهم ، وتخصيصه بالذكر لأنه أهم ...، وقد قيل للآية وجه آخر وهو أن المؤمنين لما سمعوا ما نزل في المتخلفين سارعوا إلى النفير رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه، فأمروا أن ينفر من كل فرقة طائفة إلى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع الفقه وهو الجهاد الأكبر؛ لأن الجدال بالحجة هو الأصل والمقصود من البعثة "[2].

وكما أورد الفخر الرازي في تفسيره لهذا الآية ما يلي: "إن الله سبحانه وتعالى لما بين في هذه السورة أمر الهجرة ثم أمر الجهاد وهما عبادتان بالسفر، بين أيضاً عبادة التفقه ... ثم قال : فلولا نفر من كل فرقة منهم : يعني من الفرق الساكنين في البلاد تخرج طائفة إلى حضرة الرسول ρ ليتفقهوا في الدين وليعرفوا الحلال والحرام ويعودوا إلى أوطانهم ، فينذروا قومهم لكي يرجعوا عن كفرهم ، وعلى هذا التقدير يكون المراد وجوب الخروج إلى حضرة الرسول ρ للتفقه والتعلم ، فإن

(1) سورة التوبة : 122.

(2) تفسير أبي السعود 111/3، 112 .

قيل : أفتدل الآية على وجوب الخروج للتفقه في كل زمان ؟ قلنا : متى عجز عن التفقه إلا بالسفر ، وفي زمن الرسول ρ كان الأمر كذلك لأن الشريعة ما كانت مستقرة ، بل كان يحدث كل يوم تكليف جديد وشرع حادث ، أما في زماننا صارت الشريعة مستقرة ، فإذا أمكنه تحصيل العلم في الوطن لم يكن السفر واجباً ، إلا أنه لما كان لفظ الآية دليلاً على السفر لا جرم رأينا إن العلم المبارك المنتفع به لا يحصل إلا في السفر"[1].

ولقد أورد الإمام الألوسي أيضاً في تفسيره للآية السابقة ما يلي: "ليتفقهوا في الدين: أي ليتكلفوا الفقاهة فيه، فصيغة التفعل للتكليف، وليس المراد به معناه المتبادر بل مقاساة الشدة في طلب ذلك لصعوبته فهو لا يحصل بدون جد وجهد وكان الظاهر أن يقال : ليعلموا بل لينذروا ويفقهون بل يحذرون، لكنه اختير ما في النظم الجليل للإشارة إلى أنه ينبغي أن يكون غرض المعلم الإرشاد والإنذار ، وغرض المتعلم اكتساب الخشية لا التسلط والاستكبار.

قال حجة الإسلام الغزالي عليه الرحمة :كان اسم الفقه في العصر الأول اسماً لعلم الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة ، واستيلاء الخوف على القلب ، وتدل عليه هذه الآية ، فما به الانذار والتخويف هو الفقه دون تفريعات الطلاق واللعان والسلم والإجارات .... وذكر غير واحد أن تخصيص الإنذار بالذكر لأنه الأهم وإلا فالمقصود الإرشاد الشامل لتعليم السنن والآداب والواجبات والمباحات والإنذار أخص منه ... وذهب كثير من الناس إلى أن المراد من النفر ، النفر والخروج لطلب العلم ، فالآية ليست متعلقة بما قبلها من أمر الجهاد ، بل لما بين سبحانه وجوب الهجرة والجهاد ، وكل منها سفر لعبادة، فبعدما فضل الجهاد ذكر السفر الآخر وهو الهجرة لطلب العلم فضمير يتفقهوا أو ينذروا للطائفة المذكورة وهى النافرة "[2].

---

(1) التفسير الكبير 520/4 .

(2) تفسير الألوسي 48/11، 49 .

كما أورد الدكتور محمود حجازي في " التفسير الواضح " عن الآية السابقة ما يلي :

"فلولا خرج من كل فرقة كبيرة كالقبيلة جماعة قليلة يقدر عددها بقدر الظروف والملابسات ، وذلك ليتأتى للمؤمنين في جملتهم التفقه في الدين، والوقوف على أسرار التنزيل ، فيكون حول النبي ρ جماعة يتعلمون منه الأحكام، ويأخذون عنه القرآن ، حتى إذا ما رجع المجاهدون من الميدان بلغوهم ما نزل من القرآن .... ومن هناك علم أن الآيات تشير إلى أن تعلم العلم أمر واجب على الأمة جميعاً لا يقل عن وجوب الجهاد والدفاع عن الوطن ، فإن الوطن يحتاج أيضاً إلى من يناضل عنه بالحجة والبرهان ... وتشير الآية الكريمة إلى أن غاية طلب العلم هو التفقه في الدين وفهم أسراره مما تصلح به نفس العالم، حتى يكون ربانياً وقرآنياً "[1].

ولقد نقل الخطيب البغدادي عن عكرمة[2] مولى ابن عباس في تفسير قوله تعالى: (السائحون)[3] أنه قال: هم طلبة الحديث "[4].

ولقد حثت السنة النبوية الشريفة كذلك على ضرورة طلب العلم والحرص على حفظه ونشره بين الأمم وذلك تحقيقاً لاستمرار الدين الإسلامي الحنيف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وتدلنا على ذلك الأحاديث الآتية:

الحديث الذي أخرجه الإمام ابن ماجه بسنده من حديث زيد بن ثابت τ قال: قال رسول الله ρ : "نضر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه"[1].

---

(1) التفسير الواضح 416/415/1 .

(2) هو : مولى ابن عباس ، أبو عبد الله الهاشمي ، مات سنة سبع ومائة ، وقيل سنة أربع ومائة، انظر تذكرة الحفاظ 95/1، 96 .

(3) سورة التوبة : 112 .

(4) الرحلة في طلب الحديث : 87، 88 .

– والحديث الذي أخرجه الإمام البخاري بسنده من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه τ ذكر النبي ρ قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه أو بزمامه قال: " أي يوم هذا ؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه قال: أليس يوم النحر قلنا : بلى . قال : فأي شهر هذا ؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : أليس بذي الحجة ؟ قلنا : بلى . قال : إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا، في بلدكم هذا ليبلغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه "[2].

– وكانت الوفود من العرب ترحل إلى رسول الله ρ لمعرفة مبادىء الدين الجديد وشرائعه فكان ρ يعلمهم مما علمه الله ويحثهم على التبليغ عنه . ويدلنا على ذلك الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري بسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : أن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ρ قال : من القوم –أو من الوفد ؟ قالوا : ربيعة قال : مرحبا بالقوم –أو الوفد –غير خزايا ولا ندامى . فقالوا : يا رسول الله . إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فمرنا بأمر فصل نخبر به من ورائنا، وندخل به الجنة . وسألوه عن الأشربة فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع : أمرهم بالإيمان بالله وحده . قال : أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم . قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، واقام الصلاة، وإيتاء الزكاة،

(1) أخرجه ابن ماجه في المقدمة ، باب من بلغ علماً 84/1، 85 . حديث رقم 230، وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده 183/5 . وأخرجه بن حبان 225/1 وأخرجه الترمذي في كتاب العلم باب قول النبي ρ : رب مبلغ أوعى من سامع ، وحسنه : 157/1، 158 (من عارضة الأحوذي) .

(2) أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب قول النبي ρ : رب مبلغ أوعى من سامع 157/1، 158 (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري) .

وصوم رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس ، ونهاهم عن أربع[1]: الحنتم ، والدباء ، والنقير ، والمزفت –وربما قال المقير –وقال: احفظوهم واخبروا به من وراءكم" [2].

ولقد امتثل الصحابة رضوان الله عليهم وتابعوهم ومن تبعهم لتلك التوجيهات الصادرة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فحرصوا على طلب العلم وتبليغه وتكبدوا المشاق واستلذوها في سبيل نشره . واهتموا بذلك اهتماما منقطع النظير حتى أنهم نقلوا أدق الأشياء وأخصها عن رسول الله ρ، نقلوا كل حركة وكل خلجة حتى ليدرك من يقرأ كتب الرواية الصحيحة أنهم ما تركوا شيئاً صدر عنه ρ إلا رووه . فبجانب فقه العقائد والعبادات والتشريعات والأحكام والمعاملات نجد أنهم قد نقلوا لنا كثيراً من صفاته الخلقية والخلقية ، قيامه وقعوده ونومه وتبسمه حتى تعامله مع نسائه بل وحتى اختلائه لقضاء حاجته مما يعطي القارئ صورة متكاملة حية عن رسول الله ρ ومدى حب صحابته رضوان الله عليهم له حال حياته وبعد أن لحق بالرفيق الأعلى.

ولقد تفرق الصحابة في البلاد لإذاعة ونشر كل ما صدر عن رسول الله ρ من علم وإرشاد وتوجيه هادين مرشدين مبلغين ومعلمين . فمنهم من نزل البصرة ومنهم من نزل الكوفة ، ومنهم من نزل مصر ، ومنهم من نزل الشام ومنهم من نزل خراسان[3] وغيرها من البلدان . كما هو مدون في كتب الطبقات والكتب التي عنيت بتواريخ الرجال وأحوالهم وكتب الدراية وغيرها. ولقد أورد الحاكم في مؤلفه " معرفة علوم الحديث " أسماء بعض الصحابة الذين تفرقوا في أنحاء العالم الإسلامي قديماً حيث قال : " ممن نزل الكوفة من أصحاب رسول الله ρ : علي بن أبي طالب ، سعد بن أبي وقاص ، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، عبد الله بن مسعود ، خباب بن الأرت ...

---

(1) الحنتم : الجرار الخضر . النقير بفتح النون وكسر القاف : أصل النخلة ينقر فيتخذ منه وعاء . والمزفت : ما طلي بالزفت، والمقير : ما طلي بالقار وهو نبت يحرق إذا يبس تطلى به السفن وغيرها (فتح الباري 134/1).

(2) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان 129/1 (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(3) بلد معروف ، قال الجرجاني : معنى خر : كل وأسان معناه : سهل : أي كل بلا تعب . وقال غيره : معنى خراسان: الشمس ، والعرب إذا ذكرت للمشرق كله قالوا : فارس ، معجم ما استعجم 489/2، 490 .

وممن نزل مكة من الصحابة : عياش وعبدالله ابنا أبي ربيعة المخزوميان ، والحارث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل ، وعبدالله بن السائب المخزومي ... وممن نزل البصرة من الصحابة : عتبة بن غزوان ، وعمران بن الحصين ، وأبو برزة الأسلمي ، ومحجن بن الأدرع ... وممن نزل مصر من الصحابة : عقبة بن عامر الجهني ، وعمرو بن العاص ، وعبدالله بن عمرو ، وخارجة بن حذافة ، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح ... وممن نزل الشام من الصحابة : أبو عبيدة بن الجراح ، وبلال بن رباح ، وعبادة بن الصامت ، ومعاذ بن جبل ، وسعد بن عبادة ، وأبو الدرداء ... وممن نزل خراسان من الصحابة وتوفي بها : بريد بن حصيب الأسلمي مدفون بمرو[1]، وأبو برزة الأسلمي ، والحكم بن عمرو الغفاري "[2].

ولقد تلقى عدد من التابعين العلم عن هؤلاء الصحابة أو حملوا العلم عنهم إلى أتباعهم والأجيال التي جاءت بعدهم . ولقد أورد الدكتور / محمد عجاج الخطيب في مؤلفه (السنة قبل التدوين) أسماء بعض التابعين الذين تلقوا العلم عن الصحابة ممن نزل بتلك الأمصار حيث قال : " وقد تخرج من المدينة كبار التابعين ، ومنهم سعيد بن المسيب[3]، وعروة بن الزبير[4]، وابن شهاب الزهري[5]،

---

(1) المرو : الحجارة البيض تقتدح بها النار ، مرو مدينة ببلاد فارس خرج منها خلق من أهل الفضل ينسبون مرووذي ومروذي ، معجم البلدان 132/5 .

(2) معرفة علوم الحديث : 238 ، 239 .

(3) هو : سعيد بن المسيب ، الإمام شيخ الإسلام فقيه المدينة ، أبو محمد المخزومي أجل التابعين ، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر ، وقد اختلفوا في وفاته على أقوال أقواها سنة 94 هـ. تذكرة الحفاظ 55/1 ، 65.

(4) هو : عروة بن الزبير بن العوام ، الإمام عالم المدينة أبو عبد الله القرشي الأسدي المدني ولد في آخر خلافة عمر τ ، توفي سنة 94 هـ . تذكرة الحفاظ 62/1، 63 .

(5) هو : ابن شهاب الزهري ، أبو عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري المدني الإمام ، توفي سنة 124 هـ ، تذكرة الحفاظ 108/1-113 .

وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود(1)، وسالم بن عبد الله بن عمر ، ومحمد بن المنكدر(2) وغير هؤلاء ممن كانوا مرجع الأمة في السنة والقضاء والفتوى .. وقد تخرج في مكة على أيدي الصحابة مجاهد بن جبر(3)، وعطاء بن أبي رباح(4)، وطاوس بن كيسان(5)، وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم ... وكان لعبد الله بن مسعود أثر كبير في رفع اسم الكوفة لما بذله في سبيل تعلم ابنائها ، وقد تخرج في هذه المدرسة كبار التابعين الذين حفظوا الشريعة وحافظوا على السنة المطهرة ، فقد كان في الكوفة ستون شيخاً من أصحاب عبد الله بن مسعود .. وأشهر من تخرج من مدرسة البصرة الحسن البصري(6) الذي أدرك خمسمائة من الصحابة ، ومحمد بن سيرين(7)، وأيوب السختياني(8)... ونشطت الحركة العلمية في بلاد الشام وخاصة دمشق أيام الأمويين وما زال

(1) هو : عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، الفقيه العلم أبو عبد الله الهذلي المدني الضرير أحد الفقهاء السبعة ، توفي سنة 98 هـ على الصحيح . تذكرة الحفاظ /78، 79 .

(2) هو : محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله القرشي التيمي المدني سيد القراء، توفي سنة 130 هـ . تذكرة الحفاظ 127/1، 128 .

(3) هو : مجاهد بن جبر ، الإمام أبو الحجاج المخزومي المكي المقرىء المفسر مولى السائب بن أبي السائب المخزومي ، توفي سنة 103هـ . تذكرة الحفاظ 92/1 .

(4) هو : عطاء بن أبي رباح، أبو محمد مولى آل خيثم القرشي الفهري المكي ، واسم أبي رباح أسلم ، توفي سنة 114هـ وقيل 115هـ . تذكرة الحفاظ 98/1 .

(5) هو طاوس بن كيسان الهمداني الخولاني من أبناء فارس ، توفي بمكة سنة 101 هـ . تذكرة الحفاظ 90/1، 91 .

(6) هو : الحسن بن أبي الحسن ، واسم أبيه يسار مولى الأنصار ، كان مولده لسنتين بقيتا من خلافة عمر τ ، توفي سنة 110هـ . تذكرة الحفاظ 71/1، 72 .

(7) هو : محمد بن سيرين كان أبوه عبداً لأنس بن مالك ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان τ ، توفي سنة 110 هـ وعمره 77 سنة . تذكرة الحفاظ 77/1، 78 .

(8) هو : أيوب بن أبي تميمة كيسان الإمام أبو بكر السختياني البصري كان من الموالي ، توفي سنة 131 هـ في الطاعون وله 63 سنة . تهذيب التهذيب 397/1-399 .

بها فقهاء ومحدثون ومقرئون وانتشر فيها العلماء حتى أضحت قرية داريا حاضرة العلم والأدب في غوطة دمشق ... وتخرج على أيدي الصحابة .... كبار علماء الشام من التابعين ... وتخرج على أيدي هؤلاء –أي الصحابة في مصر –يزيد بن أبي حبيب[1] محدث الديار المصرية وقد كان ليزيد بن أبي حبيب أثر بعيد في نشر الحديث في مصر فقد تتلمذ عليه الليث بن سعد[2]، وعبد الله بن لهيعة[3] اللذان تتلمذ عليهما خلق كثير "[4].

ولقد ازداد حب أتباع التابعين وأتباعهم للمحدثين وكانوا يحبون أن يلتقوا بهم ليسمعوا عنهم كالإمام الشافعي الذي قال في ذلك ما يلي: "إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث فكأني رأيت رجلاً من أصحاب النبي ρ جزاهم الله خيراً هم حفظوا لنا الأصل فلهم علينا الفضل"[5].

3- أهداف الرحلة في طلب الحديث:

هناك أهداف كثيرة دفعت المحدثين للرحلة وطلب الحديث ولعل من أهم تلك الأسباب التي أوردها العلماء ما يلي :-

أولاً –طلب الحديث النبوي الشريف ونشره والتفقه في الدين :

لقد سبق أن رأينا كيف أن الوفود كانت ترحل إلى الرسول ρ لفهم تعاليم الإسلام وشرائعه ونظمه ، وبعد أن لحق الرسول ρ بالرفيق الأعلى رحل الصحابة إلى البلاد وتفرقوا فيها قائدين

---

(1) هو : يزيد بن أبي حبيب المصري ، كنيته أبو رجاء ، واسم أبي حبيب قيس ، وقد قيل سويد مولى بن عامر ، توفى سنة 128 هـ . تذكرة الحفاظ 129/1، 130 .

(2) هو : الليث بن سعد ، مولى فهم بن قيس بن غيلان ، كنيته أبو الحارث ، توفي سنة 175هـ وله 81 سنة . تذكرة الحفاظ 224/1-226 .

(3) عبد الله بن لهيعة بن عقبة ، أبو عبد الرحمن الحضرمي ويقال الغافقي ، قاضي مصر ، توفي سنة 174 هـ . تذكرة الحفاظ 237/1-239 .

(4) السنة قبل التدوين : 165 ، 171 .

(5) سير أعلام النبلاء 95/10 ، 60 .

ومعلمين ورحل إليهم التابعون، بل أن من الصحابة أنفسهم من رحل إلى أخوانه من الصحابة الذين سمعوا عن رسول الله ρ أكثر منهم . ولا غرابة في ذلك فلقد كان من الصحابة من هو أكثر حديثاً أو أفقه من غيره لأسباب عديدة مثل طول ملازمته للنبيρ وكثرة سماعه عنه، كما حكى ذلك عن ابي هريرة وأنس والسيدة عائشة رضوان الله عليهم.

ومنهم ممن دعا له النبي ρ بالتفقه في الدين كابن عباس حيث أخرج البخاري من حديث ابن عباس رضى الله عنهما : "ضمني النبي ρ على صدره وقال اللهم علمه الحكمة"، وفي رواية: "اللهم علمه الكتاب "(1).

وجاء في شرح ابن حجر للحديث ما يلي : " وهذه الدعوة مما تحقق إجابة النبي ρ فيها لما علم من حال ابن عباس في معرفة التفسير والفقه في الدين τ ، وأختلف الشراح في المراد بالحكمة هنا فقيل ، القرآن ... وقيل العمل به ، وقيل السنة ، وقيل ما يشهد العقل بصحته ، وقيل نور يفرق به بين الإلهام والوسواس ، وقيل سرعة الجواب مع الإصابة ، وبعض هذه الأقوال ذكرها بعض أهل التفسير في تفسير قوله تعالى ، ولقد آتينا لقمان الحكمة "(2).

بل أن بعض الصحابة المكثرين من الحديث كانوا يأخذون الحديث عن غيرهم ويسألون غيرهم عن بعض الأحاديث التي لم يسمعوها من رسول الله ρ كابن عمر والسيدة عائشة رضى الله عنهما، فلقد أخرج الإمام مسلم بسنده من حديث أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ρ:"من شهد الجنازة حتى يصلي عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان . قيل: وما القيراطان قال : مثل الجبلين العظيمين ... وكان ابن عمر يصلي عليها ثم ينصرف، فلما بلغه حديث أبي هريرة قال : لقد ضيعنا قراريط كثيرة "(3).

(1) أخرجهما البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب ذكر ابن عباس τ 10/7 (صحيح البخاري بشرحه فتح الباري)

(2) فتح الباري 170/1 .

(3) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز ، باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها 14/7 (من صحيح مسلم بشرح النووي) .

ولقد أخرج الإمام مسلم أيضاً من حديث عروة بن الزبير قال : قالت لي عائشة : " يا ابن أختي بلغني أن عبد الله بن عمر مار بنا الحج فالقه فسائله فإنه قد حمل عن النبي ρ علماً كثيراً قال: فلقيته فساءلته عن أشياء يذكرها عن رسول الله ρ قال عروة : فكان فيما ذكر أن النبي ρ قال : إن الله لا ينتزع العلم من الناس انتزاعاً ، ولكن يقبض العلماء فيرفع العلم معهم ويبقى في الناس رؤساً جهالاً يفتونهم بغير علم فيضلون ويضلون . قال عروة فلما حدثت عائشة بذلك أعظمت ذلك وأنكرته قالت : أحدثك أنه سمع النبي ρ يقول هذا ؟ قال عروة : حتى إذا كان قابل قالت له : أن ابن عمر قد قدم فالقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم ، قال : فلقيته فساءلته فذكره لي نحو ما حدثني به في مرته الأولى . قال عروة : فلما أخبرتها بذلك قالت : ما أحسبه إلا قد صدق . أراه لم يزد فيه شيئاً ولم ينقص "[1].

ومما لا شك فيه أن تفرق الصحابة رضوان الله عليهم بالبلاد كان قد دفع التابعين إلى الانتقال من بلد إلى آخر طلباً للحديث الشريف . ويدلنا على ذلك ما أورده الخطيب البغدادي في مؤلفه " الرحلة في طلب الحديث " حيث جاء فيه ما يلي : " عن كثير بن قيس[2] قال : كنت جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق ، فأتاه رجل فقال : يا أبا الدرداء جئتك من المدينة ، مدينة الرسول لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ρ . قال : ولا جئت لحاجة ؟ قال : لا. قال: ولا لتجارة ؟ قال : لا . قال : ولا جئت إلا لهذا الحديث ؟ قال : لا . قال : فإني سمعت رسول الله ρ يقول[3]: من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك به طريقاً من الجنة ، وأن الملائكة

(1) أخرجه مسلم في كتاب العلم ، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان 225/224/16 (من صحيح مسلم بشرح النووي)

(2) هو : كثير بن قيس ويقال قيس بن كثير شامي ذكره ابن حبان في الثقات . تهذيب الكمال في أسماء الرجال 434/8ن 435.

(3) لقد بين لنا محقق كتاب الرحلة أن هذا الحديث متكلم فيه وقال : وقد تكلم في سند الحديث ... لكن الحديث تقوى بما عضده من المتابعات والشواهد . الرحلة 78، 79.

لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم ، وأن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وأن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض وكل شيء حتى الحيتان في جوف الماء ، إن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وأورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر ... عن زر بن حبيش[1] قال : أتيت صفوان بن عسال[2] المرادي فقال : ما جاء بك ؟ قلت ابتغاء العلم . قال : فإني سمعت رسول الله ρ يقول[3]: من خرج من بيته ابتغاء العلم وضعت الملائكة أجنحتها له رضاً بما يصنع "[4].

ولقد علم التابعون وأتباعهم أيضاً أن طلب العلم والتفقه في الدين واجب عليهم . ويدلنا على ذلك الحديث الذي دار بين يزيد بن هارون وحماد بن زيد وهذا نصه : " قال يزيد بن هارون[5] لحماد بن زيد[6]: يا أبا إسماعيل هل ذكر الله سبحانه وتعالى أصحاب الحديث في القرآن؟ قال : نعم ، ألم تسمع إلى قوله عز وجل : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا

---

(1) هو : زر بن حبيش أبو مريم الأسدي الكوفي ، كان من أعرب الناس وكان ابن مسعود يسأله عن العربية ، عاش 120 سنة ، توفي سنة 82 هـ . تذكرة الحفاظ 57/1 .

(2) هو : صفوان بن عسال المرادي ثم الربضي من بني الربض أبن زاهر بن عامر ، غزى مع النبي ρ 12 غزوة وسكن الكوفة . تهذيب الكمال في أسماء الرجال 123/4 .

(3) قال محقق كتاب الرحلة إن الحديث مطعون فيه، وبين اندفاع هذا الطعن. انظر الرحلة 83، 84 .

(4) الرحلة في طلب الحديث 79 – 83 .

(5) هو : يزيد بن هارون بن زادي الحافظ أبو خالد السلمي الواسطي ، ولد سنة 118 هـ وتوفي سنة 206 هـ . تذكرة الحفاظ 317/1 ، 318 .

(6) هو : حماد بن زيد بن درهم البصري الإمام الحافظ شيخ العراق من فقهاء البصرة ، توفي سنة 179 هـ . تذكرة الحفاظ 228/1، 229.

في الدين وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) فهذا في كل من رحل في طلب العلم والفقه ورجع به إلى من وراءه فعلمه إياه"[1].

ولهذا فقد جد كثير من التابعين وأتباعهم ورحلوا في طلب الحديث الشريف صابرين محتسبين ، ويدلنا على ذلك ما أورده السيد نور الدين عتر في استدراك الزيادات على كتاب الرحلة حيث ورد فيه ما يلي : " قيل للشعبي: من أين لك هذا العلم كله ؟ قال : بنفي الاعتماد والسير في البلاد ، وصبر كصبر الجماد ، وبكور كبكور الغراب ... عن الشعبي[2] قال : ما علمت أن أحداً من الناس كان أطلب لعلم في أفق من الآفاق من مسروق .... وعن مكحول الدمشقي[3] قال : كنت عبداً بمصر لامرأة من هزيل فأعتقتني ، فما خرجت من مصر وبها علم إلا حويت عليه فيما أرى . ثم أتيت العراق فما خرجت منها وبها علم إلا حويت عليه فيما أرى ، ثم أتيت الشام فغربلتها كل ذلك أسأل عن النفل ، فلم أجد أحداً يخبرني بشيء فيه حتى أتيت شيخاً يقال له زياد بن جارية التميمي[4] ، فقلت له هل سمعت في النفل شيئاً ؟ قال نعم، سمعت حبيب بن مسلمة

(1) الرحلة 86 ، 87 .

(2) هو : أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري أبو عمرو الكوفي الهمداني ، مولده في أثناء خلافة عمر ، أدرك 500 من الصحابة ، توفي سنة 103 هـ . تهذيب التهذيب 65/5-69 .

(3) هو : مكحول عالم أهل الشام ، أبو عبد الله بن أبي مسلم الهذلي ، ... وأصله من كابل وقيل هو من أولاد كسرى، توفي سنة 113 هـ وقيل سنة 112 هـ . تذكرة الحفاظ 107/1، 108 .

(4) زياد بن جارية التميمي الدمشقي ويقال : زيد والصواب زياد ، يقال : إن له صحبة . الإصابة 586/1. تهذيب التهذيب 356/3 .

الفهري يقول: " شهدت النبي ρ نفل الربع في البدأة والثلث في الرجعة "[1]، وعن ابن إسحاق قال : سمعت مكحولاً يقول: طفت الأرض في طلب العلم "[2].

ولقد حرص الصحابة والتابعون وأتباعهم على تعلم العلم وأفادة غيرهم كما ورد ذلك في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري بسنده من حديث أبي موسى τ عن النبي ρ قال: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً. فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به "[3].

كما حرص الصحابة والتابعون وأتباعهم على نشر العلم قبل رفعه لأن النبي ρ تنبأ بحدوث ذلك في آخر الزمان كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري من حديث أنس τ قال : قال رسول الله ρ : "أن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويثبت الجهل ، ويشرب الخمر ، ويظهر الزنا"[4].

ومما لا شك فيه أن أمثال هذه الأحاديث كانت قد دفعت الإمام العادل عمر بن عبد العزيز إلى أن يأمر المحدثين بجمع السنة النبوية الشريفة ونشرها وعدم كتمان العلم . ويدلنا على ذلك ما ترجم له البخاري بقوله : "باب كيف يقبض العلم . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله ρ فأكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء.

---

(1) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد ، باب فيمن قال الخمس قبل النفل 80/3 . وسكت عليه أبو داود ، وما سكت عليه أبو داود فهو صالح كما هو معروف في علوم الحديث.

(2) الرحلة 196 – 199 .

(3) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم 157/1 (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري) .

(4) أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب رفع العلم وظهور الجهل 178/1 (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري) .

ولا تقبل إلا حديث النبي ρ . ولتفشوا العلم . ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً "[1].

ثانياً –توثيق نصوص الأحاديث الشريفة وصونها عن الخطأ والتحريف:

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتفاوتون في مقدار الأحاديث التي سمعها كل منهم ونقلها إلى غيره عن رسول الله ρ وذلك لعدة أسباب منها: مدى ملازمة كل منهم للنبي ρ ، أو انشغاله عن السماع في طلب الكسب من تجارة وزراعة ورعي وغيرها ، ومنها : مدى تفاوت ملكاتهم في الحفظ والاستيعاب والنقل . ومنها : مدى اشتغالهم بالجهاد ومنازلة الأعداء وغير ذلك من الأسباب . وبناءً على ذلك فلقد تفاوتت حظوظ كل منهم في درجة حفظ الأحاديث النبوية الشريفة وتحملها وأدائها. فكان منهم المكثرون من الرواية وكان منهم المقلون من الرواية .كما كان من الحديث ما يتلقاه الجمع الغفير ومنه ما يتلقاه العدد القليل.

وهذا بالطبع دفع الصحابة لأخذ الحديث بعضهم عن بعض حتى في عهد النبيρ ، ويدلنا على ذلك الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري بسنده من حديث عمر τ قال: "كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد –وهى من عوالي المدينة –وكنا نتناوب النزول على رسول الله ρ ، ينزل يوماً وأنزل يوماً ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك . فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته فضرب بابي ضرباً شديداً فقال : أثم هو ؟ ففزعت ، فخرجت إليه فقال : قد حدث أمر عظيم ... قال : فدخلت على حفصه فإذا هى تبكي، فقلت طلقكن رسول الله؟ قالت: لا أدري . ثم دخلت على النبي ρ فقلت وأنا قائم : أطلقت نساءك؟ قال: لا فقلت : الله أكبر "[2].

---

(1) انظر كتاب العلم من صحيح البخاري 194/1 (صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(2) أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب التناوب في العلم 185/1 (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري) .

وبعد أن لحق النبي ρ بالرفيق الأعلى وتفرق الصحابة في الأمصار كان الصحابي يرحل لأخيه الصحابي لسماع حديث أو لتوثيق نص حديث سمعه عن النبي ρ . ويدلنا على ذلك ما فعله كل من جابر بن عبد الله ، وأبي أيوب الأنصاري رضى الله عنهما فقد شدا الرحال إلى البلاد لتوثيق نصوص بعض الأحاديث النبوية الشريفة . ولقد أورد الخطيب البغدادي في مؤلفه "الرحلة" فيما يختص بهذا الموضوع ما يلي : " عن جابر بن عبد الله τ قال: بلغني عن رجل من أصحاب رسول الله ρ حديث سمعه من رسول الله ρ ، لم أسمعه منه –قال : فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلي ، فسرت إليه شهراً حتى أتيت الشام ، فإذا هو عبد الله ابن أنيس الأنصاري . قال، فأرسلت إليه أن جابراً على الباب ، قال : فرجع إلى الرسول فقال : جابر بن عبد الله ؟ فقلت: نعم. قال: فرجع الرسول إليه فخرج إلى فاعتنقني واعتنقته قال : قلت حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله ρ في المظالم لم أسمعه ، فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه . فقال سمعت رسول الله ρ يقول : " يحشر الله الناس قال: وأومأ بيده إلى الشام –عراة غرلا [1] بهماً قلت : ما بهماً ؟ قال : ليس معهم شيء. قال: فيناديهم يسمعه من بعد كما سمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة . قلنا :كيف هو ، وإنما نأتي الله تعالى عراة غرلاً بهماً ؟ قال بالحسنات والسيئات[2].

وخرج أبو أيوب[3] إلى عقبة بن عامر وهو بمصر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ρ . فلما قدم إلى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري . وهو أمير مصر فأخبر به ، فعجل فخرج إليه

(1) جمع أغرل، وهو الأغلف. النهاية في غريب الحديث والاثر 392/3 .

(2) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند 495/3 ، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة 192/17، 193 (من صحيح مسلم بشرح النووي) .

(3) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند 153/4 مختصراً ولقد علق عليه محقق كتاب الرحلة على الحديث بقوله : للحديث طرق لم تخل عن مقال لكنها تقوي الحديث ويرتقي إلى درجة الحسن (الرحلة:120).

فعانقه . وقال : ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ قال: حديث سمعته من رسول الله ρ لم يبق أحد سمعه غيري وغير عقبة، فابعث من يدلني على منزله . قال : فبعث معه من يدله على منزل عقبة ، فاخبر عقبه به، فعجل فخرج إليه ، فعانقه وقال : ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ρ لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك في ستر المؤمن. قال : نعم سمعت رسول الله ρ يقول: من ستر مؤمناً في الدنيا على خربة[1] ستره الله يوم القيامة . فقال له أبو أيوب: صدقت. ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعاً إلى المدينة ، فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلا بعريش مصر"[2].

ولقد اقتدى التابعون وأتباعهم بصحابة رسول الله ρ في طلب التثبت من نصوص الأحاديث الشريفة وتوثيقها ، ويدلنا على ذلك رحلة أبي عثمان النهدي إلى أبي هريرة τ . ورحلة ابن الديلمي إلى عبد الله بن عمر τ، والقصتان أوردهما الخطيب البغدادي في مؤلفه "الرحلة"كما يلي : " عن عثمان قال : بلغني عن أبي هريرة حديث أنه قال : أن الله ليكتب لعبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة . فحججت ذلك العام ، ولم أكن أريد الحج إلا للقائه في هذا الحديث فأتيت أبا هريرة فقلت يا أبا هريرة بلغني عنك حديث فحججت العام ولم أكن أريد الحج . قال : فما هو ؟ قلت : إن الله ليكتب لعبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة فقال أبو هريرة : ليس هكذا قلت . ولم يحفظ الذي حدثك . قال أبو عثمان : فظننت أن الحديث قد سقط قال إنما قلت : إن الله ليعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة ثم قال : أوليس في كتاب الله تعالى ذلك ؟ قلت :كيف ؟ قال : لأن الله يقول: (**من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة**)[3].

---

(1) الخربة يعني العورة يقال ما فيه خربة : أي عيب النهاية : 18/2 .

(2) الرحلة 110-120 .

(3) سورة البقرة : 245 .

والكثير عند الله أكثر من ألفي ألف[1].

عن ابن الديلمي[2] قال: بلغني حديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص، فركبت إليه إلى الطائف أسأله عنه ، وكان ابن الديلمي بفلسطين قال : فدخلت عليه وهو في حديقة له فوجدته مختصرا بيد رجل كنا نتحدث بالشام أن ذلك الرجل من شربه الخمر. قال: فقلت له : يا أبا محمد هل سمعت رسول الله ρ يقول في شارب الخمر شيئاً ؟ قال : فأختلج الرجل يده من يد عبدالله بن عمرو فقال : أي عبد الله بن عمرو : نعم سمعت رسول الله ρ يقول : من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً . قلت : حديث بلغني عنك تقول: أن صلاة في بيت المقدس كألف صلاة وأن القلم قد جف ؟ فقال عبد الله : اللهم إني لا أحل لهم أن يقولوا إلا ما سمعوا مني . قالها ثلاثاً قال : ولكني سمعت رسول الله ρ يقول : أن سليمان بن داود سأل الله ثلاثاً ، سأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه ، وسأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه، وسأله من أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة أن يغفر له ... وسمعت رسول الله ρ يقول: "إن الله خلق الناس في ظلمة فأخذ نوراً من نوره، فألقى عليهم فأصاب من شاء وأخطأ من شاء ، فقد عرف من يخطئه ممن يصيبه، فمن أصابه من نوره أهتدى، ومن أخطأ ضل ، فلذلك أقول : أن القلم قد جف[3]"[4].

(1) الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في المسند 521/2 ولقد علق السيد نور الدين عتر عليه بقوله : الحديث صحيح ومرفوع انظر كتاب الرحلة : 134 انظر أيضا الفتح الرباني 90/15، 91 .

(2) هو : عبد الله بن فيروز ، يتصل نسبه بالضحاك بن فيروز الديلمي الصحابي توفي سنة 558 هـ . الرسالة المستطرفة: 75 .

(3) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة 97/1 (من عارضة الأحوذي).

(4) الفتح الرباني 167/10 –171 الرحلة : 136 .

ثالثاً –طلب علو الإسناد [1]:

لقد رحل المحدثون أيضاً طلباً لعلو الإسناد وكانوا يؤكدون بأن الإسناد العالي سنة وقربة إلى الله عز وجل ، ومما يدل على استحسان المحدثين للإسناد العالي ومدحه ما أورده الخطيب البغدادي في مؤلفه : (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) حيث أورد من أقوال المحدثين ما يلي : " عن محمد بن أسلم الطوسي قال : قرب الإسناد قربة من الله عز وجل ... وعن أحمد بن حنبل قال: طلب إسناد العلو من السنة ... وسئل الإمام أحمد بن حنبل عن الرجل يطلب الإسناد العالي . قال : طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف . لأن أصحاب عبد الله كانوا يرحلون من الكوفة إلى المدينة فيتعلمون من عمر ويسمعون منه "[2].

ولقد أعد الحاكم النيسابوري كذلك في مؤلفه "معرفة علوم الحديث" أن طلب الإسناد العالي سنة صحيحة مستنداً في ذلك على الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بسنده من حديث أنس قال : نهينا أن نسأل رسول الله ρ عن شيء : فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع . فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك قال : صدق : قال : فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال : الله . قال : فبالذي خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك . قال: نعم . قال : وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا قال : صدق . قال : فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا قال : نعم. قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا . قال : صدق. قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا . قال : صدق . قال : فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا قال : نعم قال: وزعم رسولك أن علينا حج

(1) فيما يختص بالاسناد العالي يمكن اللجوء إلى تدريب الراوي 2/158-172 .

(2) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 1/123 .

البيت من أستطاع إليه سبيلا . قال : صدق. قال: ثم ولى . قال والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن. فقال النبي ρ لئن صدق ليدخلن الجنة "[1].

لقد علق الحاكم على هذا الحديث بقوله : " فيه دليل على إجازة طلب المرء العلو في الإسناد وترك الاقتصار على النزول فيه وأن كان سماعه عن الثقة، إذ البدوي لما جاءه رسول رسول الله ρ فأخبره بما فرض الله عليهم لم يقنعه ذلك حتى رحل بنفسه إلى رسول الله ρ وسمع منه ما بلغه الرسول عنه . ولو كان طلب العلو في الإسناد غير مستحب لأنكر عليه المصطفى ρ سؤاله إياه عما أخبره رسوله عنه ولأمره بالاقتصار على ما أخبره الرسول عنه "[2].

لقد بين الحاكم أيضاً أن الصحابة والتابعين كانوا يرحلون إلى الأقطار في طلب الإسناد العالي حيث أورد في مؤلفه " الكفاية " ما يلي : " سأل رجل من أهل خراسان عامراً فقال : يا أبا عمرو كيف تقول في رجل كانت له وليدة فاعتقها فتزوجها ؟ فإنا نقول : عندنا هو كالراكب بدنة فقال : حدثنا أبو برزة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه τ قال : قال رسول الله ρ : "من كانت له وليدة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران، وأيما عبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران "[3]. أعطيتكها بغير أجر . فلقد كان الراكب يركب فيما هو أدنى من هذا إلى المدينة قال أبو عبد الله –أي الحاكم : " فهذا الراكب إنما يركب في طلب عالي الإسناد ، ولو أقتصر على النازل لوجد بحضرته من يحدثه"[4].

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الايمان ، باب السؤال عن أركان الإسلام 169/1-171 (من صحيح مسلم بشرح النووي) .

(2) معرفة علوم الحديث : 7 .

(3) أخرجه البخاري في كتاب النكاح ، باب اتخاذ السراري ومن أعتق جاريته ثم تزوجها، 157/10 (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري) .

(4) معرفة علوم الحديث : 9 .

ومما يدل على أن التابعين كانوا يرحلون إلى الصحابة طلباً لعلو الإسناد ما أورده الخطيب البغدادي في مؤلفه (الكفاية) من قول أبي العالية ما يلي: "كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله ρ بالبصرة فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعنا من أفواههم"(1).

ولقد اقتدى المحدثون بالصحابة والتابعين ، في طلب علو الإسناد ، من ذلك أن زيد بن الحباب(2) المحدث الزاهد الجوال الرحال طاف الأقطار طلباً لعلو الإسناد وذلك عند سماعه لنص حديث في مجلس سفيان الثوري(3). لقد أورد الخطيب في مؤلفه " الرحلة " عن هذا الموضوع ما يلي: "حدثنا زيد بن الحباب حدثنا سفيان الثوري عن أسامة بن زيد عن موسى بن علي اللخمي عن أبيه عن أبي قيس مولى عمرو عن عمرو τ أن النبي ρ قال : فرق بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر "(4).

قال زيد بن الحباب : فلما ذهبت لأقوم من مجلس سفيان الثوري قال لي رجل : أنا خلفت اسامة حياً بالمدينة ، فركبت راحلتي وأتيت المدينة فلقيت أسامة فقلت له : حديث حدثنيه سفيان الثوري عنك عن موسى بن علي(5) عن أبيه ... قال : نعم حدثني موسى بن علي بن رباح اللخمي عن أبيه ... قال زيد فلما ذهبت لأقوم من مجلسٍ أسامة قال رجل : أنا خلفت موسى بن

---

(1) الكفاية : 403 .

(2) هو: أبو الحسين زيد بن الحُباب بن الريان العُكلي –بطن من تميم –الكوفي، كان ثقة ، توفي سنة 23 هـ. تهذيب التهذيب 3/420-424 .

(3) هو : سفيان بن سعيد أبو عبد الله الثوري ، (ثور مضر لا ثور همدان) الكوفي الفقيه (سفيان بن سعيد بن مسروق) ، توفي سنة 161 هـ . تذكرة الحفاظ 1/205، 206.

(4) أخرجه مسلم في كتاب الصوم ، باب نفل السحور وتأكيد استحبابه واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر 7/207 (من صحيح ملسم بشرح النووي) .

(5) هو : موسى بن علي بن رباح اللخمي ، أبو عبد الرحمن المصري ، كان أمير مصر لأبي جعفر المنصور 6 سنين ، توفي سنة 163 هـ . تهذيب الكمال في أسماء الرجال 10/89 ، 90 .

علي حياً بمصر فركبت راحلتي وأتيت مصر فجلست ببابه فخرج إلى شيخ راكب على فرس قال: ألك حاجة . قال : قلت : نعم حديث حدثنيه سفيان الثوري عن أسامة بن زيد عنك عن أبيك ... فقال: نعم : حدثني أبي عن أبي قيس مولى عمرو عن عمرو τ أن النبي ρ قال : فرق بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر "[1].

ومن المحدثين من رحل إلى شيخ يبتغي علو الإسناد فمات هذا الشيخ قبل أن يظفر الطالب بمراده ولقد أورد الخطيب البغدادي في مؤلفه " الرحلة " أمثلة كثيرة في ذلك منها ما يلي: " قال الأوزاعي[2] خرجت إلى الحسن وابن سيرين فوجدت الحسن قد مات ووجدت محمد بن سيرين مريضاً فدخلنا عليه نعوده فمكث أياماً ثم مات ... قال حماد بن سلمة[3]: قدمت مكة وعطاء بن أبي رباح حي. قال : فقلت : إذا أنا أفطرت دخلت عليه فمات في رمضان ، وعن عبد الله بن داود الخريبي[4] يقول كان سبب دخولي البصرة لأن ألقى ابن عون، فلما صرت إلى قناطر بني دارا تلقاني نعي ابن عون ، فدخلني ما الله به عليم ... عن مكي بن إبراهيم[5] قال : لم أطلب بعد سنة خمسين ومائة إلا خرجت إلى الليث وابن لهيعة وموسى بن علي . فدخلتها أي مصر وقد

---

(1) الرحلة في طلب الحديث : 157 – 159 .

(2) هو : الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الدمشقي الحافظ، توفي سنة 157هـ.تذكرة الحفاظ 1/178-183.

(3) هو : حماد بن سلمة بن دينار أبو سلمة الربعي مولاهم البصري النحوي المحدث ، توفي سنة 167 هـ تذكرة الحفاظ 1/202، 203 .

(4) هو : أبو عبد الرحمن عبد الله بن داود بن عامر الهمداني الشعبي الكوفي ،كان يسكن محلة الخريبة بالبصرة ، توفي سنة 213 هـ . تذكرة الحفاظ 1/337-338 .

(5) هو : مكي بن إبراهيم بن بشير بن فرقد ، ويقال مكي بن إبراهيم بن فرقد بن بشير الحنظلي البرجمي أبو السكن البلخي ، توفي سنة 214 هـ أو 215 هـ . تهذيب الكمال في أسماء الرجال 10/91-93 .

كان موسى بن علي مات قبلي بثلاثة أيام ... وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : دخلت البصرة لأسمع من حماد بن زيد فقدمت فإذا هو قد مات "[1].

رابعاً –البحث عن أحوال الرواة ومذاكرة العلماء والإكثار من الشيوخ:

لقد رحل المحدثون أيضاً من أجل البحث عن أحوال الرواة قبل التحمل والأداء كما فعل شعبة بن الحجاج . فقد أورد الخطيب البغدادي في مؤلفه "الرحلة " أن نصر بن حماد[2] قال: "كنا قعوداً على باب شعبة[3] نتذاكر فقلت ثنا إسرائيل ... عن عقبة بن عامر قال :كنا نتناوب رعية الإبل على عهد رسول الله ρ فجئت ذات يوم والنبي حوله أصحابه فسمعته يقول : من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين فاستغفر الله إلا غفر له . فقلت بخ بخ فجذبني رجل من خلفي فإذا هو عمر بن الخطاب ، فقال : الذي قيل أحسن فقلت : وما قال : قال : من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . قيل له : أدخل من أي أبواب الجنة شئت . قال : فخرج شعبة فلطمني ثم رجع فدخل ، فتنحيت من ناحية . قال : ثم خرج فقال : ما له يبكي بعد؟ فقال له عبد الله بن أدريس : أنك أسأت إليه . فقال شعبة : انظر ما تحدث إن أبا إسحاق حدثني بهذا الحديث عن عبد الله بن عطاء[4] عن عقبة بن عامر ، قال فقلت لأبي إسحاق : من عبد الله بن عطاء؟ فغضب ومسعر بن كدام[5] حاضر قال : فقلت له لتصححن لي هذا أو لأخرقن ما كتبت عنك . فقال لي

(1) الرحلة 168 – 180 .

(2) هو : نصر بن حماد بن عجلان البجلي أبو الحارث الوراق البصري الحافظ . تهذيب التهذيب10/425 ، 426 .

(3) هو : أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي الواسطي ثم البصري ، من أقران سفيان الثوري ، توفي سنة 160 هـ . تهذيب التهذيب 4/338 ، 246 .

(4) هو : عبد الله بن عطاء الطائفي المكي ويقال : الكوفي أبو العطاء مولى للمطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة ، وقيل مولى بن هاشم . تهذيب التهذيب 5/322 ، 323 .

(5) هو : أبو سلمة مسعر بن كدام الهلالي العامري الكوفي أحد الحفاظ الأعلام ، توفي سنة 153 هـ وقيل 155 هـ. تهذيب التهذيب 10/113-115 .

مسعر: عبد الله ابن عطاء بمكة ، قال شعبة : فرحلت إلى مكة لم أرد الحج أردت الحديث فلقيت عبد الله بن عطاء ، فسألته فقال : سعد بن إبراهيم[1] حدثني. فقال لي مالك بن أنس : سعد بن إبراهيم بالمدينة لم يحج العام . قال شعبة: فرحلت إلى المدينة فلقيت سعد بن إبراهيم فسألته فقال : الحديث من عندكم زياد بن مخراق[2] حدثني . قال شعبة : فلما ذكر زياداً قلت : أي شيء هذا بينما هو كوفي ، إذ صار مدنياً ، إذ صار بصرياً ، قال : فرحلت إلى البصرة فلقيت زياد بن مخراق فسألته فقال : ليس هو من بابتك. قلت : حدثني به ، قال : لا تريده . قلت حدثني به ، قال : حدثني شهر بن حوشب[3] عن أبي ريحانة عن عقبة بن عامر ... قال شعبة فلما ذكر شهر بن حوشب قلت: دمَّر عليَّ هذا الحديث لو صح لي مثل هذا عن رسول الله ρ كان أحب إلي من أهلي ومالي والناس أجمعين "[4].

ومن المحدثين من كان يرحل من أجل مذاكرة العلماء ولقاء الحفاظ، ومن أمثلة هؤلاء العلماء علي بن المديني والإمام أحمد بن حنبل ووكيع بن الجراح[5] والإمام أبي داود وغيرهم. فقد أورد الخطيب البغدادي في مؤلفه " الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع " حول هذا الموضوع ما يلي: " عن علي بن المديني قال : قدمت الكوفة فعنيت بأحاديث الأعمش فجمعتها فلما قدمت

(1) هو : سعد بن إبراهيم بن عوف الزهري أبو إسحاق ويقال أبو إبراهيم ، كان قاضي للمدينة ، وقد كان ثقة عابداً تقياً ، توفي سنة 125 هـ وقيل 127 هـ . تهذيب التهذيب 3/463-465 .

(2) هو : زياد بن مخراق المزني مولاهم ، أبوالحارث البصري . تهذيب التهذيب 3/383 .

(3) شهر بن حوشب أبو سعيد ويقال أبو عبد الله ، ويقال أبو عبد الرحمن ، ويقال أبو الجعد، الشامي الحمصي ، ويقال الدمشقي مولى أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ، قيل توفي سنة 100 هـ وقيل سنة 111 هـ وقيل سنة 112هـ . تهذيب الكمال في أسماء الرجال 4/627-631 .

(4) انظر ترجمة شعبة في سير أعلام النبلاء : 7/202 – 228 .

(5) هو : أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرواسي الكوفي ، أحد أئمة الحديث الأعلام ، توفي سنة 197 هـ . طبقات بن سعد 2/275 .

البصرة لقيت عبد الرحمن فسلمت عليه ، فقال : هات يا علي ما عندك. فقلت ما أحد يفيدني عن الأعمش شيئاً . قال فغضب فقال : هذا كلام أهل العلم، ومن يضبط العلم ، ومن يحيط به مثلك يتكلم بهذا ؟ أمعك شيء تكتب فيه، قلت : نعم قال: أكتب ، قلت: ذاكرني فلعله عندي قال: أكتب لست أملي عليك ما عندك فأملي على ثلاثين حديثاً لم أسمع منها حديثا ً. ثم قال: لا تعد. قلت لا أعود "[1].

ومن العلماء الذين كانوا يرحلون للمذاكرة الإمام أحمد بن حنبل ، فقد ورد في " سير أعلام النبلاء " عن سيرته ما يلي : " حدثنا المروزي : سمعت أبا عبد الله يقول : مات هشيم ولي عشرون سنة ، فخرجت أنا والأعرابي رفيق كان لأبي عبد الله . قال : فخرجنا مشاة ، فوصلنا الكوفة .... فأتينا أبا معاوية، وعنده إسحاق فأعطى الأعرابي حجة ستين درهماً ، فخرج وتركني في بيت وحدي، فأستوحشت ، وليس معي إلا جراب فيه كتبي ، كنت أضعه فوق لبنة وأضع رأسي عليه. وكنت أذاكر وكيعاً بحديث الثوري ،وذكر مرة شيئاً فقال: هذا عند هشيم ؟ فقلت : لا وكان ربما ذكر العشر أحاديث فأحفظها فإذا قام قالوا لي فأمليها عليهم ... وعن أحمد الدورقي، عن أبي عبد الله قال: نحن كتبنا الحديث من ستة وجوه وسبعة لم نضبطه ، فكيف يضبطه من كتبه من وجه واحد ؟ قال عبد الله بن أحمد : قال لي أبو زرعة[2]: أبوك يحفظ ألف ألف حديث فقيل له: وما يدريك ؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب ... وعن أحمد بن سلمة : سمعت ابن راهويه يقول: كنت أجالس أحمد وابن معين ونتذاكر فأقول : ما فقهه ؟ ما تفسيره ؟ فيسكتون إلا أحمد ... وعن عبد الله بن أحمد قال : سمعت أبي يقول : قدمت صنعاء أنا ويحيى بن معين فمضيت إلى عبد

(1) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 277/2، 278.

(2) هو : عبد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القرشي الرازي ، توفي سنة 264 هـ . تذكرة الحفاظ 557/2، 558 .

الرزاق[1] في قريته ، وتخلف يحيى فلما ذهبت أدق الباب ، قال لي بقال تجاه داره : مه لا تدق ، فإن الشيخ يهاب ، فجلست حتى إذا كان قبل المغرب خرج فوثبت إليه ، وفي يدي أحاديث أنتقيتها فسلمت وقلت : حدثني بهذه رحمك الله ، فإني رجل غريب . قال ومن أنت ؟ وزجرني ، قلت: أنا أحمد بن حنبل قال : فتقاصر ؟ وضمني إليه وقال : بالله أنت أبو عبدالله ؟ ثم أخذ الأحاديث وجعل يقرؤها حتى أظلم فقال للبقال : هلم المصباح حتى خرج وقت المغرب "[2].

ومن العلماء الذين كانوا يتذاكرون الأحاديث سفيان الثوري وعبد الرحمن بن مهدي[3] فقد جاء في (تقدمة الجرح والتعديل) عنهما ما يلي: "قال أبو معاوية : لقيني سفيان الثوري بعد موت الأعمش فقال لي : كيف أنت يا محمد . كيف حالك ؟ ثم قال لي : سمعت من الأعمش كذا ؟ قلت : لا ، قال: فسمعت منه كذا ؟ قلت : لا ، فجعل يحدثني بأحاديث كأنه علم أني لم أسمعها ... قال عبد الرحمن بن مهدي : كنت أذاكر سفيان الثوري بحديث حماد بن زيد ولا أسميه ، فإذا جاءه حماد بن زيد سأله تلك الأحاديث فجعلت أتعجب من فطنته"[4].

ولقد رحل الإمام أبو داود إلى المراكز المهمة التي حوت كبار المحدثين في الأقطار الإسلامية في عصره . فقد قال الخطيب البغدادي عن أبي داود ما يلي: "هو أحد من رحل وطوف وجمع وصنف وكتب عن العراقيين والجزريين وسمع بخراسان والعراق والجزيرة والشام ومصر "[5].

---

(1) هو : أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني الحافظ ، توفي سنة 211هـ . تهذيب التهذيب 310/6، 315 .

(2) سير أعلام النبلاء 186/11، 187 .

(3) هو : عبد الرحمن بن مهدي بن حسان ، الحافظ الكبير أبو سعيد البصري مولى الأزد ، وقيل: مولى بني العنبر ، توفي سنة 198 هـ .تذكرة الحفاظ 329/1-331 .

(4) تقدمة الجرح والتعديل 60/1 ، 61 .

(5) تاريخ بغداد : 55/9 .

ولقد كان الإمام أبو داود يذاكر الأحاديث مع المحدثين فقد جاء في (سير أعلام النبلاء) من قول الإمام أبي داود ما يلي: "كنت في طريق مكة فكتبت جزأين من حديث شيخ فوجدته فسألته وأنا أظن أن الجزأين معي، فسألته فأجابني ، فإذا معي جزآن بياض ، فبقى يقرأ علي من لفظه فنظر فرأي في يدي ورقاً بياضاً ، فقال: ما تستحي مني ؟ فأعلمته بأمري وقلت : أحفظه كله قال: أقرأ فقرأته عليه فلم يصدقني ، وقال : استظهرت قبل أن تجيء ؟ فقلت حدثني بغيره ، قال : فحدثني بأربعين حديثاً ثم قال : هات فأعدتها عليه ما أخطأت في حرف"[1].

ومن العلماء الذين رحلوا للمذاكرة مع المحدثين الإمام الأوزاعي[2]. فقد جاء في (تقدمة الجرح والتعديل) عن الأوزاعي ما يلي: " عن عون بن حكيم قال: خرجت مع الأوزاعي حاجاً، فلما أتينا المدينة أتى الأوزاعي المسجد، وبلغ مالكاً مقدمه فأتاه مسلما عليه، فجلسا من بعد صلاة الظهر يتذاكران العلم فلم يذكرا باباً من أبوابه إلا غلبه الأوزاعي عليه فيه. ثم حضرت صلاة العصر فصليا ثم جلسا وعاودا المذاكرة كل ذلك يغلب عليه الأوزاعي فيما يتذاكران فلما أصفرت الشمس ناظره في باب المكاتب والمدبر فخانقه مالك بن أنس فيه"[3].

ومن المحدثين من كان يرحل للإكثار من الشيوخ وفي هذا الشأن أورد الخطيب البغدادي في مؤلفه (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) ما يلي: "حدثنا علي ابن المحسن بن علي التنوخي قال : قال لي أبي : لما قدمت بغداد في سنة أربع وثلاثمائة وسألت عن أسماء المحدثين الذين بها لأسمع منهم ، فكتب لي أسماء أربعمائة شيخ ... عن يونس بن محمد المؤدب[4] قال :

---

(1) سير أعلام النبلاء 273/13 .

(2) هو : عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الدمشقي الحافظ ، توفي سنة 157 هـ ، تذكرة الحفاظ 178/1–183 .

(3) تقدمة الجرح والتعديل 184/1 ، 185 .

(4) هو : يونس بن محمد بن مسلم البغدادي ، أبو محمد المؤدب ثقة ثبت ، توفي سنة 232هـ . تهذيب الكمال في أسماء الرجال 196/11 –198 .

كتبت عن ألف شيخ وشيخة، وستين امرأة ... وعن الكديمي محمد بن يونس[1] قال: كتبت بالبصرة عن ألف ومائة وستة وثمانين رجلاً ... عن أبي عبد الله بن منده[2] ...

قال : كتبت عن ألف شيخ ولم أر فيهم أتقن من أبي أحمد العسال[3] ولا أحفظ من إبراهيم بن حمزة[4]... وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : سألت أبي عمن طلب العلم : ترى له أن يلزم رجلاً عنده علم فيكتب عنه أو ترى له أن يرحل إلى المواضع التي فيها العلم فيسمع منهم؟ قال: يرحل يكتب عن الكوفيين والبصريين ، وأهل المدينة ومكة والشام يسمع منهم"[5].

ومن المحدثين من كان يرحل لمعرفة مدى حفظ الشيوخ وتيقظهم ونباهتهم كما فعل الإمام يحيى بن معين[6] مع أبي نعيم الفضل بن دكين[7] . والقصة وردت في مؤلف الخطيب البغدادي (الرحلة في طلب الحديث) كما يلي: "ومن لطائف أخبار رحلاته –أي يحيى بن معين –هذه الرحلة التي سافر فيها مع صديقه الإمام أحمد بن حنبل من العراق إلى اليمن للسماع من الإمام عبد

(1) هو : الكديمي محمد بن يونس أبو العباس محمد بن يونس بن موسى القرشي البصري . قال ابن عدي ترك عامة مشايخنا الرواية عنه ، توفي سنة 286 هـ . تذكرة الحفاظ 618/2، 619 .

(2) هو : أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن مندة صاحب التصانيف الحافظ الجوال ، توفي سنة 395 هـ تذكرة الحفاظ 886/3 .

(3) هو : أحمد العسال القضي أبو أحمد محمد بن أحمد الأصبهاني صاحب التصانيف، توفي سنة 349 هـ تذكرة الحفاظ 886/3 .

(4) هو : أبو إسحاق إبراهيم بن حمزة الأصبهاني . تذكرة الحفاظ 883/3 .

(5) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 331/2 –335 .

(6) هو : يحيى بن معين أبو زكريا المري البغدادي، توفي سنة 233 هـ . تذكرة الحفاظ 429/1-431 .

(7) هو : أبو نعيم الفضل بن دكين عمرو بن حماد الحافظ الكوفي ، توفي شهيداً في سنة 219 هـ . تذكرة الحفاظ 372/1-373 .

الرزاق بن همام الصنعاني[1] حافظ اليمن . وفي العودة أراد أن يدخل الكوفة ليختبر أبا نعيم الفضل بن دكين ويعرف حفظه وتيقظه ونباهته ، وكان يرافقهما في هذه الرحلة أحمد بن منصور الرمادي الثقة ... قال أحمد : خرجت مع أحمد ويحيى إلى عبد الرزاق أخدمهما ، فلما عدنا إلى الكوفة قال يحيى لأحمد : أريد أختبر أبا نعيم ، فقال له أحمد لا تريد الرجل الا ثقة فقال : يحيى : لا بد لي، فأخذ ورقة وكتب فيها ثلاثين حديثاً من حديث أبي نعيم وجعل على رأس كل عشرة منها حديثاً ليس من حديثه ثم جاءوا إلى أبي نعيم فخرج فجلس على دكان ، فأخرج يحيى الطبق فقرأ عليه عشرة ثم قرأ الحادي عشر ، فقال أبو نعيم : ليس من حديثي أضرب عليه ، ثم قرأ العشر الثاني، وأبو نعيم ساكت ، فقرأ الحديث الثاني ، فقال : ليس من حديثي أضرب عليه ، ثم قرأ العشر الثالث وقرأ الحديث الثالث ، فانقلبت عيناه وأقبل على يحي فقال : أما هذا وذراع أحمد في يده فأورع من أن يعمل هذا ، ولكن هذا من فعلك يا فاعل ، ثم أخرج رجله فرفسه ، فرمى به وقام ودخل داره . فقال أحمد ليحيى : ألم أقل لك أنه ثبت . قال : والله لرفسته أحب إلى من سفرتي"[2].

4- نماذج من معاناة المحدثين وصبرهم على مشاقّ الرحلة في طلب الحديث:

لقد رحل المحدثون وتجولوا في الأقطار طلباً للحديث النبوي الشريف وكانوا يتحملون المشاق ويلتذون الألم في سبيل الحصول على الحديث النبوي الشريف، وسوف أورد هنا أمثلة من الأئمة الذين رحلوا في طلب الحديث تحملاً وأداء مع بيان بعضٍ من أوجه المشاق والمعاناة التي تعرضوا لها في أحوال حلهم وترحالهم كما أوضح كذلك العلماء الذين عنوا بأخبار هؤلاء المحدثين. أورد السيد نور الدين عتر في (استدراك الزيادات على كتاب الرحلة) من قول أبي حاتم

(1) هو : عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني الحافظ الكبير صاحب التصانيف ، توفي سنة 211 هـ . تذكرة الحفاظ 364/1 .

(2) الرحلة : 207 ، 208 انظر أيضاً تهذيب التهذيب 274/8 .

الرازي[1] ما يلي: " أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سبع سنين ، أحصيت ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ، لم أزل أحصي حتى زاد على ألف فرسخ تركته ، أما ما كنت سرت أنا من الكوفة إلى بغداد لا أحصي كم مرة ، ومن مكة إلى المدينة مرات كثيرة، وخرجت من البحرين من قرب مدينة صلا إلى مصر ماشياً ، ومن مصر إلى الرملة[2] ماشيا، ومن الرملة إلى بيت المقدس، ومن الرملة إلى عسقلان[3]، ومن الرملة إلى طبرية[4]، ومن طبرية إلى دمشق ، ومن دمشق إلى حمص ، ومن حمص إلى أنطاكية[5]، ومن أنطاكية إلى طرطوس[6]، ثم رجعت من طرطوس إلى حمص وكان بقي على شيء من حديث أبي اليمان فسمعت ، ثم خرجت من حمص إلى بيسان[7] ومن بيسان إلى الرقة[8]، ومن الرقة ركبت الفرات إلى بغداد، وخرجت قبل خروجي إلى الشام من

---

(1) أبو حاتم الرازي : هو محمد بن أدريس للمنذر الحنظلي أحد الأعلام ولد سنة خمس وتسعين ومائة ، توفي سنة سبع وسبعين ومائتين . تذكرة الحفاظ 567/2-569.

(2) الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين وكانت رباطاً للمسلمين . معجم البلدان 79/3.

(3) بلاد عسقلان : بفتح أوله وإسكان ثانيه ، بلد معروف وإشتقاقه من العساقيل ، وهو من السراب ، أو من العسقيل وهو الحجارة الضخمة . معجم ما أستعجم 943/3.

(4) طبرية : بالأردن اسم أعجمي ، فتحها شرحبيل بن حسنة في سنة 13 هـ صلحا ، وهي بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية . معجم البلدان 20/4.

(5) أنطاكية : بالفتح ثم السكون والياء مخففة ، بلدة شمال الشام كانت ثغراً من ثغور للمسلمين عند الفتوحات الإسلامية . معجم البلدان 316/1-320 .

(6) طرطوس : بفتح أوله وثانيه وسينين مهملتين بينهما واو ساكنة ،كلمة عجمية رومية. وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم . معجم البلدان 31/4، 32.

(7) بيسان : بالفتح ثم السكون وسين مهملة ونون ، مدينة بالأردن بالغور الشامي ، ويقال لها: لسان الأرض ، وهي بين حوران وفلسطين . معجم البلدان 625/1 .

(8) الرقة : مدينة بالعراق معلومة ، وكل أرض إلى جانب وادي ينبسط عليها الماء أيام المد ثم ينحسر عنها فتكون مكرمة للنبات فهي رقة ، وبذلك سميت المدينة . معجم ما أستعجم 266/2 .

واسط إلى النيل ، ومن النيل إلى الكوفة كل ذلك ماشياً . كل هذا في سفري الأول وأنا ابن عشرين سنة أجول سبع سنين . خرجت من الري سنة ثلاثة عشرة ومائتين ... في شهر رمضان ورجعت سنة أحدى وعشرين ومائتين "(1) .

وكان أبو حاتم الرازي يداوم على الرحلة في طلب الحديث مهما كلفه ذلك من مشقة ولاقى في ذلك من صعاب ، فقد سجل عبد الرحمن ما لقي أبوه من مشقة وعنت في سبيل طلب العلم قائلاً : " سمعت أبي يقول: بقيت بالبصرة في سنة أربع عشرة ومائتين ثمانية أشهر وكان في نفسي أن أقيم سنة فانقطعت نفقتي فجعلت أبيع ثياب بدني شيئاً بعد شيء حتى بقيت بلا نفقة، ومضيت أطوف مع صديق لي إلى المشيخة وأسمع منهم إلى المساء ، فأنصرف رفيقي ورجعت إلى بيت خال فجعلت أشرب الماء من الجوع ، ثم أصبحت من الغد وغداً على رفيقي فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوع شديد فانصرف عني وأنصرفت جائعاً ، فلما كان من الغد غدا علي فقال : مر بنا إلى المشايخ . قلت : أنا ضعيف لا يمكنني . قال : ما ضعفك ؟ قلت: لا أكتمك أمري قد مضى يومان ما طعمت فيهما شيئاً ، فقال لي : قد بقي معي دينار فأنا أواسيك بنصفه ، ونجعل النصف الآخر في الكراء فخرجنا من البصرة وقبضت منه النصف دينار ... لما خرجنا من المدينة من عند داود الجعفري صرنا إلى الجار وركبنا البحر وكنا ثلاثة أنفس —أبو زهير المروزي شيخ ، وآخر نيسابوري ، فركبنا البحر وكانت الريح في وجوهنا فبقينا في البحر ثلاثة أشهر وضاقت صدورنا ، وفني ما كان معنا من الزاد ، وبقيت بقية فخرجنا إلى البر فجعلنا نمشي أياماً على البر حتى فني ما كان معنا من الزاد والماء فمشينا يوماً وليلة لم يأكل أحد منا شيئاً ولا شربنا، واليوم الثاني كمثل واليوم الثالث كل يوم نمشي إلى الليل ، فإذا جاء المساء صلينا وألقينا بأنفسنا حيث كنا ، وقد ضعفت أبداننا من الجوع والعطش والعياء ، فلما أصبحنا اليوم الثالث جعلنا نمشي على قدر طاقتنا ، فسقط الشيخ مغشياً عليه فجئنا نحركه وهو لا يعقل فتركناه ومشينا أنا

(1) الرحلة في طلب الحديث : 206 ، 207 ، وانظر تذكرة الحفاظ 567/2.

وصاحبي النيسابوري قدر فرسخ أو فرسخين فضعفت وسقطت مغشياً علي ، ومضى صاحبي وتركني ، فلم يزل هو يمشي إذ بصر من بعيد قوماً قد قربوا سفينتهم من البر ونزلوا على بئر موسى عليه السلام فلم عاينهم لوح بثوبه إليهم فجاءوه معهم الماء في إداوة فسقوه وأخذوا بيده، فقال لهم : الحقوا رفيقين لي قد ألقوا بأنفسهم مغشياً عليهم ، فما شعرت إلا برجل يصب الماء على وجهي ففتحت عيني فقلت : أسقني فصب من الماء في ركوة أو مشربة شيئاً يسيراً فشربت ورجعت إلى نفسي ولم يروني ذلك القدر فقلت : أسقني فسقاني شيئاً يسيراً وأخذ بيدي فقلت ورائي شيخ ملقى ، قال قد ذهب إلى ذلك جماعة ، فأخذ بيدي وأنا أمشي أجر رجلي ويسقيني شيئاً بعد شيء حتى بلغت عند سفينتهم وأتوا برفيقي الثالث الشيخ وأحسن إلينا أهل السفينة فبقينا أياما حتى رجعت إلينا أنفسنا ، ثم كتبوا لنا كتاباً إلى مدينة يقال لها راية إلى واليهم وزودونا من الكعك والسويق والماء ، فلم نزل نمشي حتى نفذ ما كان معنا من الماء والسويق والكعك فجعلنا نمشي جياعاً عطاشاً على شط البحر حتى وقفنا إلى سلحفاة قد رمى به البحر مثل الترس فعمدنا إلى حجر كبير فضربنا على ظهر السلحفاة فانفلق ظهره وإذا فيها مثل صفرة البيض، فأخذنا من بعض الأصداف الملقى على شط البحر فجعلنا نغترف من ذلك الأصفر فنتحساه حتى سكن عنا الجوع والعطش ثم مررنا وتحملنا حتى دخلنا مدينة الراية وأوصلنا الكتاب إلى عاملهم ... ثم خرجنا من هناك وزودنا إلى أن بلغنا مصر "[1] .

ومن العلماء الذين استلذوا الصعاب في سبيل طلب العلم الإمام الكبير المحدث الحافظ المفسر ابن الجوزي[2] فهو يقول حسب ما جاء في (استدراك الزيادات على كتاب الرحلة) لمؤلفه السيد نور الدين عتر ما يلي: "تأملت أحوال الناس في حالة علو شأنهم فرأيت أكثر الخلق تبين

---

(1) تقدمة الجرح والتعديل 364/1 – 366 . انظر تذكرة الحفاظ 567/2-569 .

(2) هو : أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن أبي الحسين علي بن محمد بن علي (ابن الجوزي) صاحب التصانيف الكثيرة مات سنة سبع وتسعين وخمسمائة . الرسالة للمستطرفة: 45 .

خسارتهم حينئذ، فمنهم من بالغ في المعاصي من الشباب ، ومنهم من فرط في أكتساب العلم، ومنهم من أكثر من الاستمتاع باللذات، فكلهم نادم في حالة الكبر حين فوات الاستدراك لذنوب سلفت ، ولقد تأملت نفسي بالإضافة على عشيرتي الذين أنفقوا أعمارهم في أكتساب الدنيا، وأنفقت زمن الصبوة والشباب في طلب العلم، فرأيتني لم يفتني مما نالوه إلا ما لو حصل لي ندمت عليه . ثم تأملت حالي فإذا عيشي في الدنيا أجود من عيشهم ، وجاهي بين الناس أعلى من جاههم، وما نلته من معرفة العلم لا يقاوم ... ولقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو . كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى لا أقدر على أكلها إلا عند الماء فكلما أكلت لقمة شربت عليها ، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم ، فأثمر ذلك عندي أني عرفت بكثرة سماعي لحديث رسول الله ρ وأحواله وآدابه ، وأحوال أصحابه وتابعيهم فصرت في معرفة طريقه كابن أجود "[1] .

كما كان سفيان الثوري يوصي بالقصد في المعيشة عند طلب العلم ويدلنا على ذلك ما جاء في (حلية الأولياء) حيث أورد أبو نعيم الأصبهاني ما يلي: "سئل سفيان الثوري : طلب العلم أحب إليك يا أبا عبد الله أو العمل ؟ فقال: أنما يراد العلم للعمل ، لا تدع طلب العلم للعمل ولا تدع العمل لطلب العلم ... وقال سفيان : عليك بالقصد في معيشتك ، وأياك أن تتشبه بالجبابرة وعليك بما لا يعرف من الطعام والشراب واللباس والمركب ، وليكن أهل مشورتك أهل التقوى وأهل الأمانة ومن يخشى الله عز وجل"[2] .

كما جاء في (تقدمة الجرح والتعديل) عن سفيان الثوري ما يلي : "عن سفيان الثوري قال: لا يطوى لي ثوب أبداً ، ولا أتخذ مملوكاً أبداً ... عن النضر ابن أبي زرعة قال : قال لي مبارك بن

---

(1) استدراك الزيادات على كتاب الرحلة : 218 ، 219 .

(2) حلية الأولياء 12/7 ، 13 .

سعيد بالموصل : أتت سفيان فأخبره أن نفقتي قد نفذت وثيابي قد تخرقت فقل له يكتب إلى والي الموصل لعله يصلني بمال اكتسي به وأتحمل . قال قدمت الكوفة فاتيت سفيان فأخبرته بما قال مبارك قال: فدخل الدار فأخرج دورقاً [1] فيه كسر يابسة فنثرها على الأرض ثم قال: لو رضي مبارك بمثل هذا لم يكن له بالموصل عمل ، ماله عندنا كتاب ... عن ابن شهاب الحناط قال : أرسل المبارك بن سعيد إلى سفيان وهو بمكة بجراب من خبز مرقوق قال : فلقيته في المسجد وهو متكيء فسلم عليّ وهو متكيء، سلم كأنه ضعيف قلت : إن معي جراباً أرسل به مبارك قال : فقعد . قال فقلت : سلمت عليك وأنت مضطجع ثم قلت معي شيء فقعدت ؟ قال : فكأنه استحيا وقال : ويحك أنه أتاني على حاجة ، أي شيء هو : قلت جراب خبز قال: أتاني على حاجة قال : وأرى أنه قال: ما نلت شيئاً منذ يومين "[2].

ومن المحدثين الذين كانوا يزهدون في الدنيا وينفقون أموالهم في سبيل الرحلة سفيان بن عيينة[3] ويحيى بن معين فقد جاء في (حلية الأولياء) عن زهد سفيان ما يلي : "عن حرملة بن يحيى[4] قال: أخذ سفيان بن عيينة بيدي فأقامني في ناحية وأخرج من كمه رغيف شعير وقال لي : دع يا حرملة ما يقول الناس هذا طعامي منذ ستين سنة "[5].

ولقد ورد عن يحيى بن معين في كتاب (الرحلة في طلب الحديث) ما يلي:

---

(1) هو : مقدار لما يُشرب يكتال به ، فارسي معرب . لسان العرب 96/10 .

(2) تقدمة الجرح والتعديل : 92/1 ، 93 .

(3) هو : أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي الكوفي سكن مكة ، توفي سنة 198هـ . تهذيب التهذيب 117/4-121 .

(4) هو : أبو حفص التجيبي (حرملة بن يحيى) للمصري الفقيه صاحب الشافعي ، توفي سنة 243هـ . تذكرة الحفاظ 486/2 .

(5) حلية الأولياء 272/7 .

"هو إمام الجرح والتعديل وأحد من أنتهى إليه علم الحديث في عصره قال: كتبت بيدي ألف ألف حديث ... وذكر عدي أن والد يحيى خلف له ثروة ضخمة ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم فأنفق ذلك كله على الحديث لما توسع في طلبه ورحلاته من أجله"[1].

ولقد كان يحيى بن سعيد يقضي يومه كله في طلب الحديث. فقد جاء في (تقدمة الجرح والتعديل) عنه ما يلي: " حدثنا عبد الرحمن قال: سمعت أبا سعيد أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان[2] يقول : قال والدي : كنت أخرج من البيت وأنا أطلب الحديث فلا أرجع إلا بعد العتمة"[3].

ومن المحدثين من كان يمنعه الافتقار إلى المال عن إدراك بعض الشيوخ والسماع منهم كالإمام أحمد بن حنبل . فقد أورد الخطيب البغدادي في مؤلفه (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) عن صالح بن أحمد بن حنبل أنه قال: "قال أبي لو كان عندي خمسون درهما كنت خرجت إلى الري إلى جرير بن عبد الحميد[4] فخرج بعض أصحابنا ولم يمكني الخروج لأنه لم يكن عندي شيء"[5].

ومن المحدثين الذين كانوا يطلبون الحديث على قلة نفقتهم أيضاً يعقوب بن سفيان[6] حيث جاء عنه في (تهذيب التهذيب) ما يلي: " عن يعقوب بن سفيان قال : كنت في رحلتي فقلت نفقتي فكنت أدمن الكتابة ليلاً وأقرأ نهاراً، فلما كان ذات ليلة كنت جالساً أنسخ في السراج وكان شتاء ، فنزل الماء في عيني فلم أبصر شيئاً ، فبكيت على نفسي لانقطاعي من بلدي وعلى ما

---

(1) الرحلة : 207 .

(2) هو : يحيى بن سعيد بن فروخ القطان أبو سعيد البصري ، إمام أهل زمانه ، توفي سنة 198هـ . تهذيب التهذيب 220-216/11 .

(3) تقدمة الجرح والتعديل 249/1 ، 250 .

(4) هو : أبو عبد الله جرير بن عبد الحميد الضبي الكوفي محدث الري ، توفي سنة 188 هـ. تذكرة الحفاظ 271/1 .

(5) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 233/2.

(6) هو : أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي (نسبة إلى فسا في بلاد فارس) صاحب التاريخ الكبير، توفي سنة 277 هـ . تذكرة الحفاظ 582/2 ، 583

فاتني من العلم ، فغلبتني عيناي فنمت فرأيت النبي ρ في النوم ، فناداني يا يعقوب لم أنت تبكي ؟ فقلت: يا رسول الله ذهب بصري فتحسرت على ما فاتني، فقال لي: أدن مني ، فدنوت منه فأمر يده على عيني كأنه يقرأ عليهما، ثم استيقظت فأبصرت ، فأخذت نسخي وقعدت أكتب "(1).

ومن المحدثين من آثر طلب العلم على الزواج كأبي نصر السجزي(2). فقد أورد الإمام الذهبي في مؤلفه (تذكرة الحفاظ) عن أبي نصر ما يلي : "قال الحافظ أبو إسحاق الحبال: كنت يوماً عند أبي نصر السجزي فدق الباب فقمت ففتحته ، فدخلت امرأة وأخرجت كيساً فيه ألف دينار ، فوضعته بين يدي الشيخ وقالت : أنفقها كما ترى . قال : ما المقصود ؟ قالت : تتزوجني ولا حاجة إليّ في الزواج ، ولكن لأخدمك ، فأمرها بأخذ الكيس وأن تنصرف، فلما أنصرفت قال: خرجت من سجستان بنية طلب العلم ، ومتى تزوجت سقط عني هذا الاسم وما أوثر على ثواب طلب العلم شيئاً "(3).

5- مناهج المحدثين الذين رحلوا في طلب الحديث الشريف:

لقد أتخذ المحدثون مناهج عديدة وقويمة ورصينة عند جمعهم وتوثيقهم للسنة النبوية الشريفة، ولقد أنصبت معظم جهودهم على تمحيص ونقد أسانيد الحديث ومتونها قبل تحملهم للسنة وأدائها. ومن المعلوم أنهم لم يقبلوا من الحديث إلا ما صح عن رسول الله ρ وذلك تبعاً للمعايير التي ارتضوها لقبول الحديث أو رده.

---

(1) تهذيب التهذيب 11/385-387.

(2) هو : أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن داؤد المقدسي الشافعي ، توفي سنة 490 هـ . الرسالة المستطرفة 39 .

(3) تذكرة الحفاظ 4/1118 - 1119.

ولعل من أبرز الوسائل التي اعتمد عليها المحدثون منذ عصر الصحابة رضوان الله عليهم وإلى عصر تدوين السنة في المصنفات الكبرى في التحقق عن مدى صحة الأخبار رحلاتهم المباركة إلى المحدثين . ومن هناك اتخذوا طلب الإسناد والبحث عنه منهجاً للتأكد من مدى صدق الخبر أو كذبه . ويدلنا على ذلك ما جاء في مقدمة صحيح مسلم من قول ابن المبارك(1): "الإسناد من الدين ولو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء "(2) وقوله أيضاً : " بيننا وبين القوم القوائم ، يعني الإسناد "(3)، وقوله أيضاً: " مثل الذي يطلب أمر دينه بلا إسناد كمثل الذي يرتقي السطح بلا سلم "(4) . وقول سفيان الثوري : "الإسناد سلاح المؤمن، فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل" (5).

ونظراً لأهمية الإسناد فإن المحدثين كانوا لا يرحلون إلا إلى الثقات وقد يعرضون عليهم الأحاديث ولا يأخذون إلا ما صح عن رسول الله ρ . كما كانوا يرحلون طلباً لعلو الإسناد ولتوثيق نصوص الأحاديث النبوية الشريفة بأكثر من سند. كما أنهم أتخذوا من تكريم العلم والعلماء منهجاً والتزموا بآداب معينة لطلب العلم . وسوف نورد هنا بإيجاز أهم المناهج التي اعتمدها المحدثون الذين رحلوا في طلب الحديث الشريف عند جمعهم وتوثيقهم للسنة النبوية الشريفة.

أولاً —الحرص على السماع من مشاهير المحدثين:

لقد سبق أن تبين لنا أن المحدثين كانوا يرحلون إلى مشاهير العلماء من الثقات للأخذ عنهم وكانوا يوصون بذلك ويحرصون عليه . ويدلنا على ذلك ما أورده الخطيب البغدادي في مؤلفه

---

(1) هو : عبد الله بن المبارك الحنظلي ، أحد الأئمة الأعلام الذين جمعوا الحديث والفقه والأدب ، مات سنة 118 هـ. تهذيب التهذيب 5/382-386 .

(2) أخرجه مسلم في المقدمة ، باب أن الاسناد من الدين 1/87 (من صحيح مسلم بشرح النووي)

(3) أخرجه مسلم في المقدمة ، باب أن الاسناد من الدين 1/87 (من صحيح مسلم بشرح النووي)

(4) شرف أصحاب الحديث : 42 .

(5) شرف أصحاب الحديث : 42 .

(الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) حيث جاء فيه ما يلي: عن شعبة قال: "حدثوا عن أهل الشرف فإنهم لا يكذبون –قال الخطيب البغدادي : هذا كله بعد استقامة الطريق وثبوت العدالة والسلامة من البدعة ، فأما من لم يكن على هذه الصفة فيجب العدول عنه واجتناب السماع منه...، وعن يحيى بن معين قال : آلة الحديث الصدق والشهرة والطلب، وترك البدع واجتناب الكبائر ... وعن إبراهيم قال : كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته –أي هيئته –وإلى صلاته وإلى حاله ثم يأخذون عنه "(1).

كما أورد أبو نعيم في (حلية الأولياء) عن شعبة ما يلي : "حدثنا سفيان بن عيينة قال: لقيت شعبة في طريق مكة فقلت أين تريد ؟ فقال : أريد الأسود بن قيس(2) أستفيد منه حديثاً ... ولقيت شعبة في يوم مطير على حمار ابتر فقلت له : إلى أين ؟ قال : أذهب إلى الأسود ابن قيس فقد حدثنا عام كذا بأحاديث أبصر بحفظها العام "(3).

كما أورد ابن حبان في مؤلفه (مشاهير علماء الأمصار) عن شعبة ما يلي: "وكان ممن عني بعلم السنن وسعى في طلبها ، وواظب على درسها وداوم على الرحلة فيها وعرج على الأقوياء من الثقات وجرح الضعفاء والروايات وكان يسكن البصرة زماناً وواسط حيناً "(4).

ولقد جاء في (تقدمة الجرح والتعديل) عن يحيى بن معين ما يلي: "حدثنا عبد الرحمن قال سمعت أبي يقول : قدمنا البصرة وكان قدم يحيى بن معين قبل قدومنا بسنة فلزم أبا سلمة

---

(1) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 127/1.

(2) هو : الأسود بن قيس أبو عمرو النخعي الفقيه الزاهد العابدي عالم الكوفة خال إبراهيم النخعي الفقيه ، توفي سنة 75 هـ . تذكرة الحفاظ 50/1 ، 51 .

(3) مشاهير علماء الأمصار : 177 .

(4) مشاهير علماء الأمصار : 177 .

موسى بن إسماعيل[1] فكتب عنه قريباً من ثلاثين أو أربعين ألف حديث ... سمعت أبا بكر محمد بن إبراهيم بن حماد قال: رحل معنا يحيى بن معين إلى ابن أبي سلمة موسى بن إسماعيل التبوذكي وسمع جامع حماد بن سلمة وقد كان سمع من سبعة عشر نفساً "[2].

كما جاء في (تقدمة الجرح والتعديل) عن رحلة المحدثين إلى الثقات ما يلي (حدثنا عبدالرحمن ... سمعت سفيان الثوري يقول : قدمت الري وعليها الزبير بن عدي[3] قاضياً فكتبت عنه خمسين حديثاً ، ثم مررت بجرجان وبها جواب التيمي فلم أكتب عنه ثم كتبت عن رجل عنه. قلت لأبي نعيم : ولِمَ لم يكتب عنه ؟ قال : لأنه كان مرجئاً ... سمعت عثمان بن زائدة[4] الرازي قال: قدمت الكوفة قدمة فقلت لسفيان الثوري : من ترى أن أسمع منه ؟ قال: عليك بزائدة وسفيان بن عيينة ، قال قلت : فأين أبو بكر بن عياش[5] ؟ قال: إن أردت التفسير فعنده "[6].

ثانياً –الحرص على نشر الحديث الشريف وبيان اختلاف طرقه:

ومما يدلنا على أن المحدثين كانوا يحرصون على نشر العلم ما أورده ابن حبان في مؤلفه (مشاهير علماء الأمصار) عن هشيم بن بشير حيث جاء فيه ما يلي: " هشيم بن بشير القاسم

---

(1) هو : موسى بن إسماعيل المنقري مولاهم أبو سلمة التبوذكي البصري ، ثقة كثير الحديث، توفي سنة 223 هـ . تهذيب التهذيب 333/10، 334 .

(2) تقدمة الجرح والتعديل 315/1 .

(3) هو : الزبير بن عدي اليامي أبو عدي الكوفي قاضي الري ، توفي سنة 131 هـ . تهذيب الكمال في أسماء الرجال 563/3، 564 .

(4) هو : زائدة بن قدامة الثقفي أبو الصلت الكوفي ، كان من الثقات ، توفي في أرض الروم غازياً سنة 160 هـ أو 161 هـ . تهذيب التهذيب 306/3، 307 .

(5) هو : أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي والراجح أن اسمه كنيته من مشهوري مشايخ الكوفة وقرائها ، توفي سنة 193 هـ . تهذيب التهذيب 34/2-37 .

(6) تقدمة الجرح والتعديل 80/1 ، 81 .

السلمي أبو معاوية المعلم مفتي الواسطية وجلة مشايخها ممن كثرت عنايته بالآثار وجمعه للأخبار حتى حفظ وصنف وذاكر وحدث ونشر وبث".

ومما يدلنا أيضاً أن المحدثين كانوا يحرصون على نشر العلم بين العامة والخاصة ولا يقصرونه على أحد دون آخر ما جاء في (مختصر سنن أبي داود) عن الإمام أبي داود ما يلي : " عن أبي بكر بن جابر خادم أبي داود قال : كنت معه ببغداد فصلينا المغرب إذ قرع الباب ففتحته فإذا خادم يقول: هذا الأمير أبو أحمد الموفق يستأذن ، فدخلت إلى أبي داود فأخبرته بمكانه فأذن له، فدخل وقعد، ثم أقبل عليه أبو داود وقال : ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت ؟ فقال: خلال ثلاث. فقال: وما هي ؟ قال : تنتقل إلى البصرة فتتخذها وطناً ليرحل إليك طلبة العلم من أقطار الأرض ، فتعمر بك فإنها قد خربت وانقطع عنها الناس لما جرى عليها من محنة الزنج ، فقال : هذه واحدة ، هات الثانية ، قال: وتروي لأولادي كتاب السنن فقال : نعم هات الثالثة، قال : وتفرد لهم مجلساً للرواية فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة ، فقال : أما هذه فلا سبيل إليها، لأن الناس شريفهم ووضيعهم في العلم سواء. قال ابن جابر : فكانوا يحضرون بعد ذلك ويقعدون ... ويضرب بينهم وبين الناس ستر فيسمعون مع العامة "[1] .

ومن المحدثين الذين رحلوا وبينوا طرق الحديث الأمام البخاري . فقد ورد في (سير أعلام النبلاء) حول سيرته ما يلي: " عن يوسف بن موسى المروزي قال : كنت في البصرة في جامعها. إذ سمعت منادياً ينادي : يا أهل العلم ، قد قدم محمد بن إسماعيل البخاري ، فقاموا في طلبه وكنت معهم، فرأينا رجلاً شابا يصلي خلف الإسطوانة فلما فرغ من الصلاة أحدقوا به وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء فأجابهم ، فلما كان الغد أجتمع قريب من كذا ألف فجلس للإملاء ، وقال: يا أهل البصرة ، أنا شاب وقد سألتموني أن أحدثكم. وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدون الكل . ثم قال حدثنا عبد الله بن جبلة بن أبي داود ... عن شعبة عن منصور وغيره عن سالم بن أبي

(1) مختصر سنن أبي داود 12/1 ، وسير أعلام النبلاء 11-216 .

الجعد عن أنس τ أن أعرابياً جاء إلى النبي ρ فقال : يا رسول الله الرجل يحب القوم ... وذكر[1] الحديث ثم قال : ليس هذا عندكم ، إن ما عندكم من غير منصور عن سالم وأملي مجلساً على النسق يقول في كل حديث: روى شعبة هذا الحديث عندكم كذا ، فأما من رواية فلان فليس عندكم "[2].

ثالثاً –الإجتهاد في توقير المشايخ والعلماء:

لقد كان المحدثون الذين رحلوا في طلب الحديث الشريف يوقرون شيوخهم ويحترمونهم ويجلونهم كما كانوا يقدرون ويحترمون ويجلون بعضهم بعضاً. فمن تعظيم العلماء لسفيان الثوري ونزولهم عند قوله وفتواه جاء في (تقدمة الجرح والتعديل) ما يلي: "حدثنا عبد الرحمن ... قال: رأيت سفيان الثوري في الري في سكة الزبير بن عدي ، والزبير على القضاء ، والزبير يستفتي الثوري في قضايا ترد عليه ويفتيه الثوري ويقضي به ... عن سفيان قال : أتاني عاصم بن بهدلة في حاجة فقلت له: ألا تبعث إلى فآتيك ؟ قال : في بيته يؤتي الحكم ... قال سلمة بن كلثوم : جاء سفيان الثوري فدخل على الأوزاعي فجلسا من الأولى إلى العصر قد أطرق كل واحد منهما توقيراً لصاحبه ... رأيت عاصم بن أبي النجود يجيء إلى سفيان يستفتيه ويقول : يا سفيان أتيتنا صغيراً وأتيناك كبيرا"[3].

ولقد كان المحدثون يوقرون شعبة أيضاً. فقد ورد في (تقدمة الجرح والتعديل) حول تبجيل العلماء لشعبة ما يلي: "حدثنا عبد الرحمن ... قال: سمعت يحيى قال : رأيت عبد الوارث عند شعبة بين يديه جالساً ذليلاً "[4].

---

(1) انظر الحديث في صحيح البخاري كتاب الأحكام 16/13 وفي كتاب الفضائل 40/7 وفي كتاب الأدب 458/10، 462 (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري) .

(2) سير أعلام النبلاء 409/12 ، 410 .

(3) تقدمة الجرح والتعديل 83/1 ، 84 .

(4) تقدمة الجرح والتعديل 175/1 .

كما جاء في (تقدمة الجرح والتعديل) عن جلالة حماد بن زيد وتوقير العلماء له ما يلي: "سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : رأيت سفيان الثوري جاء إلى حماد بن زيد وسأله عن حديث أبي الصهباء عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد الخدري : " أن الأعضاء تكفر بعضها بعضاً"[1] . قال: فرأيت سفيان الثوري جاثياً بين يدي حماد بن زيد وهو يملي عليه هذا الحديث"[2].

كما جاء في نفس المصدر عن جلالة الأوزاعي وتعظيم العلماء له ما يلي: "عن عمرو بن عثمان بن عاصم .. قال: رأيت شيخاً بين الصفا والمروة على ناقة وشيخاً يقوده واجتمع أصحاب الحديث عليه فجعل الشيخ الذي يقود الشيخ يقول : يا معشر الشباب كفوا حتى نسأل الشيخ. فقلت: من هذا الراكب ؟ قالوا : هو الأوزاعي . قلت : فمن هذا الذي يقوده؟ قالوا: سفيان الثوري"[3].

ومن جلالة ابن المبارك عند العلماء ما ورد عن المسيب بن واضح أنه قال: "رأيت أبا إسحاق الفزاري[4] بين يدي ابن المبارك ، وأبو إسحاق أكبر منه بعشر سنين أو أكثر"[5].

ولقد أورد الخطيب البغدادي في مؤلفه (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) صوراً عديدة تبين تبجيل المحدثين للشيوخ وتوقيرهم لهم منها ما يلي: "عن أيوب عن محمد قال: رأيت

(1) أخرج الترمذي نحوه في كتاب الزهد ، باب ما جاء في حفظ اللسان 179/9 . قال الترمذي : هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث حماد بن زيد ، وقد رواه غير واحد عن حماد بن زيد ولم يرفعوه . (من عارضة الأحوذي).

(2) تقدمة الجرح والتعديل 182/1 .

(3) تقدمة الجرح والتعديل 207/1 ، 208 .

(4) هو : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء الكوفي الحجة شيخ الإسلام ، توفي سنة 185هـ وقيل سنة 186 هـ . تذكرة الحفاظ 173/1، 174 .

(5) تقدمة الجرح والتعديل 276/1 .

عبد الرحمن بن أبي ليلى[1] وأصحابه يعظمونه ويسودونه ويشرفونه مثل الأمير ... وعن بحر بن عبد الملك الموصلي قال: رأيت مالك بن أنس غير مرة وكان بأصحابه من الإعظام له والتوقير له إذا رفع أحد صوته صاحوا به ... عن محمد بن إسماعيل البخاري قال : ما رأيت أحدا أوقر للمحدثين من يحيى بن معين ... وعن المغيرة قال :كنا نهاب إبراهيم النخعي[2] كما يهاب الأمير ... عن عبدالرحمن بن حرملة الأسلمي قال : ماكان أحد يجترىء على سعيد بن المسيب يسأله عن شيء حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير .... وعن إسحاق الشهيدي قال :كنت أرى يحيى القطان يصلي العصر ثم يستند إلى أصل منارة مسجده ، فيقف بين يديه علي بن المديني[3]، والشاذكوني[4] وعمرو بن علي[5] ، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وغيرهم يسألونه عن الحديث وهم قيام على أرجلهم إلى أن يحين صلاة المغرب –لا يقول لواحد منهم أجلس ، ولا يجلسون هيبة وأعظاما"[6].

ومن تبجيلهم للشيوخ أن المحدث كان لا يحدث بحضرة من هو أعلم منه بالحديث . ويدلنا على ذلك ما أورده الخطيب البغدادي أيضاً في مؤلفه (الجامع لأخلاق الراوي وآداب

---

(1) هو : عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي أبو عيسى الإمام الحافظ الفقيه ، توفي سنة 82 هـ تهذيب التهذيب 260/6 .

(2) هو : إبراهيم النخعي هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود الكوفي الفقيه ، توفي سنة 95 هـ . تذكرة الحفاظ 73/1 ، 74 .

(3) هو : علي بن المديني أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي ، للمديني ثم البصري صاحب التصانيف، توفي سنة 234 هـ . تذكرة الحفاظ 428/2 ، 429.

(4) هو : الشاذكوني أبو أيوب سليمان بن داود المنقري البصري ، توفي سنة 234 هـ . تذكرة الحفاظ 487/2 ، 488 .

(5) هو : عمرو بن علي بن بحر بن كُنيز ، أبو حفص الباهلي البصري الصيرفي الفلاس أحد الأعلام ، توفي سنة 249 هـ . تذكرة الحفاظ 487/2، 488 .

(6) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 182/1 –185 .

السامع) عن توقير سفيان لأبي بكر بن عياش حيث أورد ما يلي : "عن عبد الله بن المعيطي قال : رأيت أبا بكر يقول له : يا سفيان كيف أنت ؟ يا سفيان كيف عيال أبيك ؟ قال فجاء رجل يسأل سفيان عن حديث، فقال سفيان : لا تسألني ما دام هذا الشيخ قاعداً "[1].

ومما يدل على حسن تأدب المحدثين وصبرهم عند المذاكرة ما دار بين الذّهلي وابن حنبل حسب ما ورد في (سير أعلام النبلاء) حيث جاء عنهما ما يلي: "عن الدغولي: سمعت محمد بن يحيى الذهلي[2] قال : لما رجعت بابني إلى العراق صحبني جماعة من الغرباء فسألوني أي حديث عند أحمد بن حنبل أغرب؟ فكنت أقول : إذا دخلنا عليه سألته عن حديث تستفيدونه، فلما دخلت سألته عن حديث يحيى بن سعيد بن عثمان بن غياث ... عن ابن عمر عن عمر حديث الإيمان[3] فقال يا أبا عبد الله ليس هو عندي عن يحيى بن سعيد فخجلت. فأخذ أصحابنا يقولون : إنه ذكر هذا الحديث غير مرة ثم لم يعرفه أحمد بن حنبل ، وأنا ساكت لا أجيبهم قال : ثم قدمنا بغداد فدخلنا على أحمد، فرحب بنا وسأل عنا ثم قال : أخبرني يا أبا عبد الله : أي حديث أستفدت عن مسدد عن يحيى بن سعيد ؟ فذكرت له حديث الإيمان . فقال أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، ثم أخرج كتابه وأملي علينا فسكت محمد بن يحيى الذهلي ولم يقل: سألناك عنه فعجب أصحابه من صبره قال: فأخبر أحمد بأنه كان سأله عن الحديث قبل خروجه إلى البصرة فكان أبو عبد الله : أي أحمد بن حنبل إذا ذكره يقول : محمد بن يحيى العاقل "[4].

رابعاً —الحرص على تطهير النفس وتهذيب السلوك الشخصي عند طلب العلم:

---

(1) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 320/1 .

(2) هو : محمد بن يحيى الذهلي أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس النيسابوري مولى ابن ذهل ، توفي سنة 258 هـ . تذكرة الحفاظ 531/2 ، 532 .

(3) يقصد مجيء جبريل عليه السلام إلى النبي ρ في صورة دحية الكلبي وسؤاله عن الإيمان والإسلام والساعة .. الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الإيمان 93/1 (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري) .

(4) سير أعلام النبلاء 278/12 ، 279 .

ومن مناهج المحدثين الذين رحلوا في طلب الحديث الشريف أيضاً أنهم كانوا يهيئون أنفسهم قبل طلب الحديث بالعبادة حتى يرى ذلك في تخشعهم وهديهم ولسانهم وبصرهم مما يدل على أنهم كانوا يقبلون على هذا الأمر بمنتهى الجدية والالتزام والرهبة . فقد جاء في (تقدمة الجرح والتعديل) عن سفيان أنه قال : "كان الرجل إذا أراد أن يطلب العلم تعبد قبل ذلك عشرين سنة"(1).

كما أورد الخطيب البغدادي في مؤلفه (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) في هذا الأمر أيضاً ما يلي : " عن الحسن قال :كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وهديه ولسانه وبصره ويده .... عن ابن عيينه قال :كان الشاب إذا وقع في الحديث احتسبه أهله.

قال أبو بكر: يعني أنه كان يجتهد في العبادة اجتهاداً يقصيه عن أهله فيحتسبونه عند ذلك...، وعن إبراهيم بن إسماعيل قال :كان أصحابنا يستعينون على طلب الحديث بالصوم "(2).

كما كانوا يتخوفون من أخذ العلم اعظاماً له وخوفاً من أن يقصروا في تحمله وأدائه على أكمل وجه مطلوب . ومما يدلنا على ذلك ما ورد في (تقدمة الجرح والتعديل) خبر جاء فيه ما يلي: "قال سفيان : وددت أني نجوت من هذا العلم كفافاً لا لي ولا علي ... ولو لم أعلم لكان أقل لحزني ... قيل للحسن بن صالح : أن سفيان يقول ليتني لم أسمع شيئاً قال الحسن : ولم ؟ قال أبو محمد: كانوا يتخوفون من أفضل أعمالهم "(3) وما أورده الخطيب البغدادي في مؤلفه (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) من قول يحيى بن معين ما يلي : " أني لأحدث بالحديث فأسهر مخافة أن أكون أخطأت فيه "(4).

---

(1) تقدمة الجرح والتعديل 95/1.

(2) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 142/1، 143.

(3) تقدمة الجرح والتعديل 61/1 ، 62 .

(4) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 10/2.

ولقد كان المحدثون يوصون من يطلب العلم أن يعمل به ، وتدلنا على ذلك وصية سفيان الثوري لعلي بن الحسن حيث أوصاه قائلاً : " يا أخي اطلب العلم لتعمل به ، ولا تطلبه لتباهي به العلماء ، وتماري به السفهاء، وتآكل به الأغنياء ، وتستخدم به الفقراء ، فإن لك من علمك ما عملت به، وعليك ما ضيعت منه ، فقد بلغنا والله أعلم أنه من طلب الخير صار غريباً في زماننا، ولا تستوحش واستقم على سبيل ربك فإنك إن فعلت ذلك كان مولاك الله تعالى وجبريل وصالحوا المؤمنين "[1] .

ولقد تملك حب العلم قلوبهم وصار شيئاً لا ينفك عن حياتهم . ويدلنا على ذلك ما جاء في (تقدمة الجرح والتعديل) حيث ورد فيه ما يلي : "عن عبده بن سليمان قال : رأيت ابن المبارك بين يدي أبي إسحاق الفزاري ومعه ألواح، فقلت له في ذلك فقال: ما أراني أدعه حتى أموت– يعني: طلب العلم"[2] .

كما كان العلماء يوقرون مجلس الحديث ولا يشتغلون فيه بغيره، ويزجرون كل من لا يحترم مجلس الحديث . وفي ذلك أورد الخطيب البغدادي ما يلي : "كان عبد الرحمن بن مهدي[3] لا يتحدث في مجلسه ولا يبري فيه قلم فإن تحدث أو بري قلماً صاح ولبس نعليه ودخل . وكان وكيع أيضاً في مجلسه كأنهم في صلاة ، فإن أنكر من أمرهم شيئاً انتعل ودخل ... وعن عبد الرحمن بن عمر قال : ضحك رجل في مجلس ابن مهدي فقال : من ضحك؟ فأشاروا إلى رجل فقال : تطلب العلم وأنت تضحك لا أحدثكم شهراً "[4].

خامساً –الاعتزاز بالعلم وعدم بذله لمن لا يستحقه:

---

(1) تقدمة الجرح والتعديل 285/1.

(2) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 258/1.

(3) هو : عبد الرحمن بن مهدي ، أحد كبار أئمة الحديث ، وإمام في الجرح والتعديل مات سنة 198 هـ . تهذيب التهذيب 282/9 ، 283.

(4) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 251/1.

ومن مناهجهم الحرص على العلم والاعتزاز به وصونه وعدم بذله لمن لا يستحقه . ومما يدلنا على ذلك ما فعله كل من البخاري ، وشريك ، وهشام بن يوسف[1] فقد ورد عن البخاري في (سير أعلام النبلاء) ما يلي: " لما جلس الإمام البخاري في بخارى وإتجه إليه طلبة الحديث أفواجا طالبين الإستفادة من ينابيعه وطار صيته في أرجاء العالم طلب منه خالد بن أحمد الذهلي أمير بخارى —أن يأتي إليه في قصره لكي يدرسه وأبناءه صحيح البخاري والتاريخ لكن الإمام البخاري رفض هذا الطلب وأثبت للعالم أنه ما زال هناك من يعطي العلم قيمته ويقدره حق قدره كأمثال الإمام مالك الذين لا يبالون بعداء الناس ولا يغترون بالدراهم والدنانير ولا يخدعون بالجاه والمال فقال للرسول أي لرسول أمير بخارى : أني لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين. فطلب الأمير مرة أخرى بأنه إن كان لا يحب أن يأتي إلى القصر الأميري فليعين وقتا خاصاً للأمراء لا يشترك فيه بقية الناس. ولكن الإمام البخاري أبى ذلك لأن العلم وراثة للنبي ρ وكل عام وخاص له حقوق متساوية في هذه العلوم . وطلب منه أن يحضر دروسه في الدار أو المسجد إن كان له حاجة إليه وقال البخاري للأمير: فإن لم يعجبك هذا فأمنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة أني لا أكتم العلم وبعد هذا الجواب الصريح لم يكن من أمير بخارى إلا أن غضب غضباً شديداً وحاول إخراجه من البلد "[2].

وجاء عن شريك[3] في (تاريخ الخلفاء) ما يلي : " عن حمدان الأصبهاني قال: كنت عند شريك فاتاه ابن المهدي فاستند وسأل عن حديث فلم يلتفت شريك ثم أعاد فعاد . فقال :كأنك

---

(1) هو : هشام بن يوسف الصنعاني أبو عبد الرحمن قاضي صنعاء من أبناء الفرس ، توفي سنة 197هـ . تهذيب الكمال في أسماء الرجال 450/10، 451.

(2) انظر سير أعلام النبلاء 464/12 ، 465 .

(3) هو : شريك بن عبد الله القاضي ، أبو عبد الله النخعي الكوفي ،كان إمام فقيهاً ومحدثاً ، مات سنة 177 هـ . تذكرة الحفاظ 232/1.

تستخف بأولاد الخلفاء . قال : لا، ولكن العلم أزيد عند أهله من أن يضيعوه ، فجثا على ركبتيه ثم سأله، فقال شريك: هكذا يطلب العلم "[1].

وجاء عن هشام بن يوسف أيضاً في (تقدمة الجرح والتعديل) ما يلي: "عن يحيى بن معين قال: لما فارقت عبدالرزاق أتيت هشام بن يوسف وكان على قضائها ... فقال : من أنت ؟ قلت أنا يحيى بن معين . قال سمعت أنك أتيت أخانا عبد الرزاق فما تصنع عند ذاك ؟ قلت: الحديث، يكتب عن جماعة، فقال : سماعنا وسماع عبد الرزاق قريب من السواء . فاردته على الحديث فأبى وكان يصلي بهم في المسجد الصلوات كلها فجئت إلى مسجده فقعدت فيه ، فكنت فيه ثلاثين يوماً لا أسأله شيئاً إلا أنه إذا دخل وخرج سلمت عليه . فلما كان بعد ثلاثين يوماً بعث إلى فقال لي: يا هذا إنما منعتك لأنظر أأنت من أصحاب الحديث أو لست من أصحاب الحديث ؟ قال يحيى فقلت: والله أصلحك الله هذا موضعي إلى قابل أو تحدثني أو لا يبقى معي شيء أتبلغ به، فقال: يا جارية هاتي الزبل[2] فكانت تخرجها اليّ فأقعد في المسجد فأكتب منها حاجتي ثم يقرأ"[3].

سادساً –الحرص على توثيق نصوص الأحاديث والعناية برجال السند:

وفيما يختص بحرص المحدثين الذين رحلوا في طلب الحديث على توثيق نص الحديث الشريف وصونه عن الخطأ والتحريف جاء في (سير أعلام النبلاء) ما يلي: "قال أبو عباس الدغولي: سمعت صالح بن محمد الحافظ يقول : دخلت الري وكان فضلك يذاكرني حديث شعبة، فألقي عليّ لشعبة عن عبد الله بن صبيح، عن ابن سيرين عن أنس قال : قال رسول الله ρ : " هذا خالي

---

(1) تاريخ الخلفاء : 275.

(2) الزبيل ، والزنبيل الجراب ، وقيل الوعاء يحمل فيه، وجمعه زُبُل وزبلان . انظر لسان العرب 3000/11 .

(3) تقدمة الجرح والتعديل 316/1 .

فليرني امرؤ خاله "[1]. فلم أحفظ فقال فضلك : أنا أفيدكم إذا دخلت نيسابور ترى شيخاً حسن الشيب، حسن الوجه، راكباً حماراً مصرياً ، حسن اللباس فإذا رأيته فأعلم أنه محمد بن يحيى فسله عن هذا فهو عنده من سعيد بن واصل عن شعبة . فلما دخلت نيسابور أستقبلني شيخ بهذا الوصف . فقلت : شبيه أن يكون فسألتهم عنه فقالوا : هو محمد بن يحيى ، فتبعته إلى أن نزل، فسلمت عليه وأخبرته بقصدي أياه ، فنزلت في مسجده ، وكتبت مجلساً من أصوله، فلما خرج وصلى قرأته عليه ، ثم قلت : حدثكم سعيد بن عامر عن شعبة ؟ فذكرت الحديث فقال لي : يا فتى من ينتحب هذا الانتحاب ويقرأ هذه القراءة يعلم أن سعيد بن عامر لا يحدث عن شعبة بمثل هذا. فقلت : نعم أيها الشيخ حدثكم سعيد بن واصل ؟ فقال: نعم "[2].

ومن عنايتهم برجال السند أنهم كانوا يدققون عند السماع ويوقفون المحدث عند كل حديث يورده ويتشددون في ذلك . وقد ورد في هذا الشأن من قول عبد الرحمن بن مهدي ما يلي: كنت مع سفيان عند عكرمة فجعل يوقفه في كل حديث توقيفاً شديداً ... وحدثني سفيان أحاديث إسرائيل عند عبد الأعلى عن ابن الحنفية قال : كانت من كتاب . قلت : يعني أنها ليست سماع"[3].

ومن عنايتهم برجال السند أنهم كان يصححون كل من يتوهم أن الثقات كانوا يأخذون عن الضعفاء . ويدلنا على ذلك ما جاء عن عبد الرحمن الرازي من أنه قال: "حدثنا أحمد بن سليمان الزهاوي فيما كتب إلى قال : سمعت زيد بن الحباب يقول : عجباً لمن يروي عن الكلبي[4]،

---

(1) أخرجه الترمذي في كتاب للناقب ، باب مناقب سعد بن أبي وقاص τ 151/13، 52. قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مُجالِد وكان سعد من بني زهرة ، وكانت أم النبي ρ من بني زهرة ، فلذلك قال النبي ρ : " هذا خالي .. " (من عارضة الأحوذي).

(2) سير أعلام النبلاء 277/12-288 .

(3) تقدمة الجرح والتعديل 67/1 – 71 .

(4) هو : محمد بن السائب بن بشير عمرو بن الحارث بن عبد العزى أو النضر الكوفي، توفي سنة 146 هـ . تهذيب الكمال في أسماء الرجال 705/8 – 707.

فذكرته لأبي وقلت له: أن الثوري يروي عن الكلبي قال : لا يقصد الرواية عنه ويحكي حكاية تعجباً فيعلقه من حضره ويجعلونه رواية عنه . وعن أبي عاصم النبيل قال : زعم لي سفيان الثوري قال: قال لنا الكلبي : ما حدثت عني عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب فلا ترووه "[1].

ومن عنايتهم وتدقيقهم في تحمل الحديث والأداء أنهم كانوا لا يأخذون إلا عن المحدثين الذين لهم معرفة واسعة برجال السند كالإمام شعبة . جاء في (تقدمة الجرح والتعديل) من قول ابن علية ما يلي: "كنا نرى عند حميد الطويل وسليمان التيمي وابن عون الرجل والرجلين ، فنأتي شعبة فنرى الناس عليه. ثم قال خلف: كان أصحاب الحديث يريدون حسن المعرفة بالرجال وبمعرفة الحديث وهكذا كان هذا المعنى بيناً في شعبة – إن شاء الله "[2].

---

(1) تقدمة الجرح والتعديل 73/1 .

(2) تقدمة الجرح والتعديل 176/1 .

6- نتائج الرحلة في طلب الحديث الشريف:

مما لا شك فيه أن رحلات المحدثين في طلب الحديث النبوي الشريف كانت لها نتائج طيبة وآثار عميقة تتمثل في جمع وتوثيق وتدوين السنة النبوية الشريفة وانتشارها في الآفاق . يقول في ذلك الدكتور محمد عجاج الخطيب في مؤلفه (السنة قبل التدوين) ما يلي : " وكان لرحلات العلماء في طلب الحديث أثر بعيد في انتشار السنة ، فمما لا شك فيه أن الراوي يرى من يروي عنه ، ويقف على سيرته ، ويسأل أهل بلده عنه ، وكثيراً ما كانوا يتشددون في السؤال عن الراوي حتى يقال لهم : أتريدون أن تزوجوه؟

كذلك كان للرحلات فائدة عظيمة في معرفة طرق كثيرة للحديث الواحد ، فقد يسمع الراوي من علماء المصر الذي رحل إليه زيادات لم يسمعها من علماء مصره ، وكثيراً ما يجد عندهم ما لم يجده عند شيوخه ، وقد تقع مناظرات بين علماء الأمصار تعارض فيها طرق الحديث الواحد ، فيحصَّلُ فيها القوي ويعرف الضعيف ، ويزداد طلاب العلم معرفة لأسباب ورود الأحاديث ... ويكفي الرحلة فائدة أن تساعد على نشر الحديث وجمعه وتمحيصه والتثبت فيه ، فكان لرحلات الصحابة والتابعين وأتباعهم أثر جليل في المحافظة على السنة وجمعها ، وتدلنا تزاحم الرواة على الصعاب التي كانوا يستعذبونها في سبيل حفظ السنة .... ويكفينا أن نقرأ في ترجمة أحدهم : هو فلان اليمني ، ثم المكي ، ثم المدني ، ثم الشامي ، ثم الكوفي ، ثم البصري ، ثم المصري ، لنعرف مقدار ما قاسى في قطع الفيافي والبعد عن الأهل والأوطان ، وما تحمله من المشاق حتى أصبح من رجال الحديث في عصره .... لا نشك أن الحديث النبوي انتشر جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم ، ووصل إلى الأقاليم الإسلامية الجديدة ولا نشك في أن العلم لم يبق مقصوراً على مكة والمدينة بل تعددت مراكزه ومجالسه هذا جانب عظيم يبين لنا انتشار السنة في أبعد حدود الدولة الإسلامية "[1].

(1) السنة قبل التدوين : 181 ، 182.

ومن نتائج الرحلة في طلب الحديث أيضاً أنها قوت الصلات بين بلدان العالم الإسلامي فأصبحت كالقطر الواحد . يقول في ذلك الدكتور صبحي الصالح ما يلي : " وإذا كان هؤلاء المشهورون بالطلب والرحلة قد وثقوا الأواصر بين بلدان العالم الإسلامي فذلك أمر واضح تفرضه طبائع الأشياء، وما كانت النتيجة لتتم على غير هذه الصورة ، لأن طواف الكثير منهم بالأقاليم ربط بين المشرق والمغرب وألغى السدود والحدود وجعل العالم الإسلامي أشبه بالمدينة الواحدة تنطوي قلوب أبنائها جميعاً على مبادئ واحدة"[1] .

ومن نتائج الرحلة أيضاً اشتهار بعض العلماء من المحدثين وذيوع صيتهم في الأمصار وتناقل أخبارهم بواسطة الرحالة من المحدثين مما حدى بكثير من طلاب العلم أن يرحلوا إليهم للأخذ عنهم والاستفادة من علمهم وتفوقهم في هذا المجال . ومن أمثلة هؤلاء العلماء الذين ذاع صيتهم في الآفاق وارتحل الناس إليهم : ابن حبيش ، والسلفي ، والمقدسي . أورد الذهبي في مؤلفه (تذكرة الحفاظ) عن ابن حبيش[2] ما يلي : " لم يكن أحد يجاريه في معرفة الرجال ... وقال ابن الزبير : هو أعلم أهل طبقته بصناعة الحديث وأبرعهم في ذلك ... وكان من العلماء العاملين أمعن الناس في الأخذ عنه. قال أبو عبد الله بن عباد: كان عالماً بالقراءات إماماً في علم الحديث عارفاً بعلله واقفاً على رجاله. لم يكن بالأندلس من يجاريه فيه ... وكانت الرحلة إليه في زمانه"[3].

وفيما يختص بالسلفي أورد الذهبي ما يلي : " السلفي : أبو طاهر عماد الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني ... وسلفه لقب لجده أحمد ومعناه الغليظ الشفة . رحل إلى بغداد فسمع من نصر بن البطر وفرح بلقيه ، ومن أبي بكر الطوسي والحسين بن علي

---

(1) علوم الحديث ومصطلحه : 57 ، 58.

(2) هو : أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله يوسف الأنصاري الأندلسي ، نزل مرسية ، ابن حبيش هو خاله فينسب إليه ، توفي سنة 184 هـ وله ثمانون سنة . سير أعلام النبلاء 21/119-123.

(3) تذكرة الحفاظ 4/1353 ، 1354 .

ابن البسري وطبقتهم، وبالكوفة من أبي البقاء الحبال ، وبمكة من الحسين بن علي الطبري ، وبالمدينة من أبي الفرح القزويني ، وبالبصرة من أحمد بن أحمد بن محمد بن زنجويه ، وبهمذان[1] من أبي غالب أحمد بن محمد العدل ، وبالري من صاحب البحر أبي المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الشافعي ، وبقزوين[2] من إسماعيل بن عبد الجبار المالكي، وبمراغة[3] من سعد بن علي المصري ، وبدمشق من أبي الطاهر الحنائي .... وبقي في الرحلة بضع عشرة سنة ، وسمع ما لا يوصف كثرة ونسخ بخطه الصحيح السريع، في غضون ذلك يقرأ القرآن الكريم والفقه والعربية وغير ذلك. وكان متقناً متثبتاً ديناً خيراً حافظاً ناقداً حاملاً مجموع الفضائل، انتهى إليه علو الإسناد ... وشدت إليه الرحال"[4].

وفيما يختص برحلات جمال الدين المقدسي أورد الذهبي ما يلي : " أبو موسى : جمال الدين عبد الله بن الحافظ بن عبد الغني المقدسي ... رحل به أخوه الحافظ عز الدين فسمع من عبد المنعم بن كليب والمبارك بن المعطوش ... وخلق كثير وبمصر من أبي عبد الله الأدناحي وابنه سعد الخير، ثم إرتحل ثانياً إلى العراق فسمع من أبي الفتح المنداني وذويه ومن منصور الفراوي والمؤيد الطوسي بنيسابور وبالموصل وأدبل والحرمين ... رحل ثانياً ومشى على رجليه كثيراً وصار قدوة وانتفع الناس بمجالسه "[5].

---

(1) همذان : بالتحريك والذال معجمة ، وآخره نون ، فتحها المغيرة بن شعبة في سنة 24هـ وهي مدينة جبلية في بلاد ما وراء النهر . معجم البلدان 5/471-479 .

(2) بالفتح ثم السكون وكسر الواو وياء مثناة من تحت ساكنة ونون مدينة مشهورة ومنها الإمام ابن ماجه القزويني . معجم البلدان 4/389 .

(3) مراغة : بالفتح والغين المعجمة، بلدة مشهورة ، أعظم وأشهر بلاد أذربيجان . معجم البلدان 5/190 .

(4) تذكرة الحفاظ 4/1298 – 1302 .

(5) تذكرة الحفاظ 4/1408 – 1409 .

كما كان لرحلات المحدثين أثر واضح في توحيد نصوص الأحاديث ونقلها من طابعها الإقليمي إلى الطابع العام المشترك . يقول في ذلك الدكتور صبحي الصالح ما يلي: "يبد أن أثر هذه الرحلات كان في الحديث نفسه –نصاً وروحاً –أبلغ منه في أمصار المحدثين فقد كانت هذه الرحلات تمهيداً لطبع الحديث بطابع مشترك تتماثل فيه النصوص والتشريعات ، وإن كانت أصول روايتها مختلفة المصادر حين تفرد بها أول الأمر إقليم واحد لم يشركه أحد. وكان أقل ما يفترض في هذا التفرد الإقليمي اختلاف العبارات باختلاف الرواة بالأقاليم ، ولكن هذه الروايات المتباينة أخذت في التقارب شيئاً فشيئاً حتى أمكن صهرها في قالب واحد وخيل إلى سامعها أو قارئها للمرة الأولى أنها رواية مصر واحدة لا عدة أمصار . والأمثلة في ذلك كثيرة ، غير أننا نجتزيء منها بذكر حديث: "إنما[1] الأعمال بالنيات وإنما لكل أمريء ما نوى"؛ لأهميته في نظر المحدثين فعبد الرحمن بن مهدي يقول : ما ينبغي لمصنف أن يصنف شيئاً من أبواب العلم إلا ويبتديء بهذا الحديث . ويمثل هذا صرح البخاري في قوله: من أراد أن يصنف كتاباً فيبدأ بحديث الأعمال بالنيات . وهو الحديث الذي افتتح به البخاري صحيحه كما هو معلوم ، فشرع بتطبيق هذا المبدأ على نفسه وبه افتتح العلماء كثيراً من مصنفات الحديث أخذاً بهذه الوصية الكريمة. وحين يجد القاريء في كتب السنن أن حديث النية طليعة هذه الكتب، وأن متنه يكاد يكون واحد فيها جميعاً يخيل إليه أن شروط التواتر متوافرة فيه، وأنه لابد أن يكون قد رواه الجمع الكثير عن الجمع الكثير ، والحق أن هذا الحديث كما قال البزار في مسنده : لا يكون متواتراً لانفراد عمر به وهو فوق هذا لم يكن معروفاً إلا في المدينة ، ولكنه استفاض بعد ذلك في سائر الأمصار بصيغته المشهورة فكان دليلاً واضحاً على ما للرحلات من أثر في توحيد نص الأحاديث ونقلها من طابعها الإقليمي الأصلي إلى الطابع العام المشترك، ولذلك تشابهت الروايات الماثلة في الكتب الصحيحة حول

(1) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ρ 9/1 (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري) .

الموضوع الواحد، إلا في بعض الفروق الدقيقة اليسيرة التي لم يفت المحدثين التنبيه عليها، ولم يكن سبب هذا التشابه التام العجيب إلا تلاقي الرواة حين يرتحل بعضهم إلى بعض، ويلقن بعضهم بعضاً ، ويحدثون الناس في الذهاب والإياب"[1].

كما كان لرحلات المحدثين أثر بالغ في معرفة أحوال الرواة وذلك عن طريق تشدد المحدثين في تمحيص الأسانيد والإجتهاد في التعرف على حال وعين كل فرد من أفراد رجال السند . يقول الدكتور صبحي الصالح حول هذا الموضوع ما يلي : " وإذا كانت للرحلات مثل هذا الأثر في توحيد التشريع والإعتقاد . فلا بد للتشدد في الأسانيد لمعرفة كل رجل ورد اسمه في سلسلة الاسناد جميعاً ، ثم يضيف إليها في آخرها اسمه ليعلم أنه قد سمع حقاً ما يرويه، وإلا عد متساهلاً وترك الإحتجاج بحديثه ولو كان إماماً واسع العلم مشهوداً له بالفضل . فالذهبي يقول في ابن لهيعة : الإمام الكبير قاضي الديار المصرية ويروي عن ابن حنبل أنه قال فيه : ما كان محدث مصر إلا ابن لهيعة. ولكن هذا الإمام الكبير المحدث لا يلبث أن يُرمى بالتساهل في نظر الذهبي نفسه إذ يقول : يروي حديثه في المتابعات ولا يحتج به ويقول: لم يكن على سعة علمه بالمتقن وذلك بأن ابن لهيعة كما يقول الخطيب البغدادي كان يتساهل في الأخذ وأي كتاب جاؤوا به حدث منه ، فمن هنا كثرت المناكير في أحاديث[2].

ومما يتعلق بمعرفة أحوال الرجال أيضاً إنزال رجال السند المنازل اللائقة بهم من حيث التوثيق أو التوهين فقد جاء في (تقدمة الجرح والتعديل) عن توثيق المحدثين لرجال السند ما يلي:-

- قول قروان بن محمد : " ربما سمعت سفيان بن عيينة على جمرة العقبة يقول : حدثنا سعيد ابن بشير[3] وكان حافظاً "[1] وقول سفيان الثوري: "أخرج إليكم كتاب خير رجل بالكوفة ....

(1) علوم الحديث ومصطلحه : 57، 58.

(2) علوم الحديث ومصطلحه : 57 – 59 .

(3) هو : سعيد بن بشير الأسدي ويقال البصري ويقال من واسط ويقال من دمشق وحمله أبوه إلى البصرة، توفي سنة 168 هـ وقيل: 169 هـ وقيل: 170 هـ . تهذيب الكمال في أسماء الرجال 96/4-99.

فأخرج كتاب محمد بن سوقة[2] ... عن أحمد ابن يونس قال : سمعت الثوري وذكر المعافى بن عمران[3] فقال: ياقوتة العلماء .... عن عبد الله بن المبارك قال : حدثنا سفيان قال : أخبرني نهشل بن مجمع الضبي وكان مرضياً "[4].

ومن قول أحمد بن حنبل وعلي بن المديني ما يلي: "عن أحمد بن حنبل قال: شعبة أعلم بحديث الحكم ولولا شعبة لذهب حديث الحكم ، ولم يكن في زمن شعبة مثله في الحديث ولا أحسن حديثاً منه، كان قسم له من هذا حظ ... إذا رأيت شعبة يحدث عن رجل فاعلم أنه ثقة إلا نفرا بأعينهم ... وقال علي بن المديني: نظرت فإذا الإسناد يدور على ستة : الزهري، وعمرو بن دينار، وقتادة، ويحيى بن أبي كثير، وأبي إسحاق، والأعمش، ثم صار علم هؤلاء الستة إلى أصحاب الأصناف ممن صنف فمن أهل البصرة شعبة بن الحجاج، وابن أبي عروبة[5]، وحماد ابن سلمة، ومعمر، وأبو عوانة[6]"[7].

---

(1) تقدمة الجرح والتعديل 35/1.

(2) هو : محمد بن سوقة الغنوي أبو بكر الكوفي العابد فاضل ثقة ذكره ابن حبان في الطبقة الثالثة في أتباع التابعين . تهذيب التهذيب 209/9، 210.

(3) هو : المعافى بن عمران الأسدي الموصلي الفقيه الزاهد ،كان الثوري يسميه ياقوتة العلماء، توفي سنة 185 هـ . تهذيب التهذيب 199/10-200.

(4) تقدمة الجرح والتعديل 75/1-79.

(5) هو : سعيد ابن أبي عروبة السعدي البصري ، توفي سنة 56 هـ وقيل 57 هـ . تهذيب التهذيب 63/4-66.

(6) هو : يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد النيسابوري الإسفرايني (نسبة إلى إسفرايين بليدة حصينة بنيسابور) ، توفي سنة 316 هـ . الرسالة المستطرفة : 27 .

(7) تقدمة الجرح والتعديل 128/1-129 .

كما جاء من قول ابن المبارك ما يلي: " لم يكن بالمدينة أحد أشبه بأهل العلم من ابن عجلان(1) كنت أشبهه بالياقوتة بين العلماء "(2).

كما جاء في توهين الرواة وتجريحهم بما يليق بحالهم ما يلي:–

جاء في (تقدمة الجرح والتعديل) عن علي بن المديني ما يلي : " ذكرت ليحيى بن سعيد حديث أبي إسحاق عن علي بن ربيعة قال : لا أراه سمعه من علي بن ربيعة ثم قال يحيى : كان سفيان يوهنه "(3).

كما جاء أيضاً ما يلي: "ذكر لابن المبارك حديث رواه حبيب بن خالد المالكي فقال : ليس بشيء . فقيل لابن المبارك إنه شيخ صالح فقال ابن المبارك: هو صالح في كل شيء إلا في هذا الحديث ... وسمع رجلاً يذكر ابن لهيعة فقال: أرأب ابن لهيعة أي ظهرت عورته ... وعن نعيم بن حماد قال : رأيت ابن المبارك يقول : اطرح حديث محمد بن سالم ... وقال يحيى بن آدم لعبد الله بن المبارك: أيهما أحب إليك نصر بن طريف أو عثمان البري ؟ قال : لا ذا ولا ذا ... وقال ابن المبارك: لا يكتب عن جرير بن عبد الحميد حديث السري بن إسماعيل. ترك ابن المبارك حديثه"(4).

كما أدت الرحلة إلى المعرفة التامة برواة الأخبار وناقلة الآثار ومواطنهم وبلدانهم ، جاء عن هذا الشأن في (تقدمة الجرح والتعديل) ما يلي : "عن علي بن المديني قال : قلت لسفيان بن عيينة: ابن محمد بن حنين الذي روى عنه عمرو بن دينار : صوموا لرؤيته(5) ؟ فقال إبراهيم بن عبد

(1) هو : أبو عبد الله محمد بن عجلان المدني ، توفي سنة 148 هـ . تذكرة الحفاظ 165/1، 166 .

(2) تقدمة الجرح والتعديل 273/1 .

(3) تقدمة الجرح والتعديل 271/1–272 .

(4) تقدمة الجرح والتعديل 272/11،271 .

(5) أخرجه البخاري في كتاب الصوم ، باب قول النبي ρ : " إذا رأيتم الهلال فصوموا ، وإذا رأيتموه فافطروا " 614/4 (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري) .

الله بن حنين، وعبيد بن حنين ، ومحمد بن حنين ، من أهل المدينة موالي آل العباس، قلت: عتاب بن حنين؟ قال: لا هذا مكي "[1].

وعن الحسن بن عياش قال: "كنا نأتي سفيان إذا سمعنا من الأعمش فنعرضها عليه بالعشي فيقول : هذا من حديثه ، وليس هذا من حديثه ... روى شعبة عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله ، وعن الأعمش عن إبراهيم عن مسروق عن عبد الله في رجل طلق امرأته مائة قال عبد الرحمن: فذكرت لسفيان فأنكره وقال : إنما هو منصور والأعمش جميعاً عن علقمة—يعني: عن عبد الله"[2] .

ومن معرفتهم التامة برجال السند ما جاء في (تقدمة الجرح والتعديل) أن أبا زرعة كان يسمي المبهمين من رجال السند حيث جاء ما يلي: "حدثنا عبد الرحمن، نا قبيصة نا سفيان عن رجل عن عبيد الله بن أبي يزيد عن عبيد بن عمير قال : "يحتجم المحرم ولا ينزع شعراً "[3] سمعت أبي يقول: يقال هذا الرجل عماد بن زيد .. وسمعت أبي يقول روى عن حماد بن زيد سفيان بن عيينة، وابن المبارك، ووكيع، وعبد الرحمن بن مهدي ، ويحيى بن سعيد القطان، وعفان، وأبو نعيم، وعارم، وسليمان بن حرب: حدثنا عبد الرحمن قال: ذكره أبو زرعة قال: أخبرنا قبيصة نا سفيان عن رجل عن محمد بن سيرين عن أنس τ قال: كان عمر τ لا يحجب بمن لا يرث قال أبو زرعة: هذا الرجل الذي روى عنه الثوري عن محمد بن سيرين هو حماد بن زيد"[4].

(1) تقدمة الجرح والتعديل 38/1.

(2) تقدمة الجرح والتعديل 70/1.

(3) أخرجه الترمذي في كتاب الحج، باب ما جاء في الحجامة للمحرم 55/4، 56 . قال أبو عيسى : حديث حسن صحيح ، وقد رخص قوم من أهل العلم في الحجامة للمحرم قالوا : لا يحلق شعراً . وقال مالك ، لا يحتجم المحرم ، إلا من ضرورة . وقال سفيان الثوري والشافعي : لا بأس أن يحتجم المحرم ، ولا ينزع شعراً . (من العارضة).

(4) تقدمة الجرح والتعديل 183/1.

ومن تمام إلمامهم بمعرفة ناقلة الأخبار ما جاء في (تقدمة الجرح والتعديل) عن وكيع ما يلي: "قال وكيع لم يسمع الأعمش عن مجاهد إلا أربعة أحاديث ... عن سهل بن عثمان قال: سمعت وكيعاً وقد نظر في حديث عبد الرحيم بن سلمان الرازي فقال: ما أصح حديثه كان عبد الرحيم وحفص بن غياث يطلبان الحديث معاً ... أخبرنا محمد بن إسماعيل الأحمسي قال: قلنا لوكيع يوما حدثنا بحديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة : "الرهن مركوب ومحلوب"[1]، فحدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن إبراهيم عن أبي هريرة ... أيهما أصح إسناداً ؟ الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ، أو سفيان عن منصور عن إبراهيم عن أبي هريرة ؟ قالوا : منصور عن إبراهيم . قال : والله ما أرى سمعه إبراهيم من أبي هريرة .

7- تفنيد إفتراءات مارغليوث على الرحلة في طلب الحديث:

لقد سبق أن رأينا في هذا البحث أن المستشرق الإنجليزي مارغليوث كان قد هاجم المحدثين الذين رحلوا في طلب الحديث النبوي الشريف وادعى أن الرحلة في طلب الحديث بدعة.

ولكن تبين لنا في باب السنة والبدعة من هذا البحث أن الرحلة في طلب الحديث الشريف لها أصل ثابت في القرآن الكريم وسنة رسول الله ρ وصحابته الكرام . أما البدعة فهي : الحدث في الدين بعد الإكمال، أو ما استحدث بعد النبي ρ من الأهواء والأعمال . فالصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا مبتدعين عندما خرجوا لطلب العلم ، أو نشره ، أو التثبت منه لأنهم كانوا بذلك يمتثلون أمر الله سبحانه وتعالى وأمر رسوله الكريم ρ .

أما اتهام مارغليوث للمحدثين بأنهم كانوا يختلقون الأحاديث وينسبونها إلى رسول الله ρ فيبطله ما رأينا في هذا البحث من السير العطرة لهؤلاء المحدثين الذين كانوا يهيئون أنفسهم قبل طلب الحديث الشريف بالعبادة حتى يرى ذلك في تخشعهم وهديهم ولسانهم وبصرهم مما يدل

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الرهن ، باب الرهن مركوب ومحلوب 442/5(من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

دلالة قاطعة على أنهم كانوا يقبلون على هذا الأمر بمنتهى الجدية والالتزام والرهبة كما سبق أن رأينا من قول سفيان: "كان الرجل إذا أراد أن يطلب العلم تعبد قبل ذلك عشرين سنة"، وقول إبراهيم بن إسماعيل: "كان أصحابنا يستعينون على طلب الحديث بالصوم"، وقول ابن معين: " إني لأحدث بالحديث فأسهر مخافة أن أكون أخطأت فيه".

ومما يدلنا أيضاً على أنهم كانوا يقبلون على هذا الأمر بمنتهى الجدية والأمانة والصدق والتفاني أنهم كانوا يكثرون من الرحلة في طلب الحديث على الرغم من بعد السفر وقلة الزاد ووحشة الطريق كما اتضح لنا ذلك في سيرة كل من أبي حاتم الرازي ، وابن الجوزي ، وسفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة وأحمد بن حنبل وغيرهم .

فلو كان من عادة هؤلاء المحدثين الذين رحلوا في طلب الحديث اختلاق الأحاديث ونسبتها زوراً وبهتاناً لرسول الله ρ لما تكبدوا كل هذه المشاق، ولما صبروا عليها كل هذا الصبر ولما بذلوا أنفسهم وأكثروا من التجوال والترحال للقاء الحفاظ من المحدثين ، بل أن سير هؤلاء المحدثين لتدل على أنهم كانوا ممن يتورع عن الكذب حتى في أحاديثهم العادية فما بالك بأختلاق الأكاذيب ونسبتها لرسول الله ρ ، وبخاصة أنهم كانوا يعرفون تمام المعرفة أن الرسول ρ قد حذر من الكذب عليه تحذيراً شديداً في كثير من الأحاديث الصحيحة الصادرة عنه ، بل وفي الحديث المتواتر الذي رواه الإمام البخاري بسنده من حديث أنس τ قال : " من تعمد على كذباً فليتبوأ مقعده من النار".

أما ادعاء مارغليوث أن رحلات المحدثين لم يكن لها أثر في توثيق السنة النبوية الشريفة فيبطله ما رأينا في سياق هذا البحث من أن الرحالة من المحدثين قد ساهموا مساهمات فعالة في توثيق نصوص الأحاديث النبوية الشريفة وصونها عن الخطأ والتحريف كما يبدو ذلك في سير هؤلاء الرحالة من المحدثين من أمثال أبي أيوب الأنصاري الذي رحل من المدينة إلى عقبة بن عامر بمصر لتوثيق نص حديث واحد سمعه عن النبي ρ ، وأمثال أبي عثمان النهدي الذي رحل إلى أبي هريرة

للتحقق من نص حديث سمعه عنه ، وأمثال ابن الديلمي الذي رحل من الشام إلى الطائف للتأكد من نص حديث سمعه عنه أيضاً.

ولقد رأينا كذلك كيف أن التابعين وأتباعهم كانوا قد أكثروا من التجوال والترحال حتى صارت الرحلة في طلب الحديث الشريف من أهم وسائل المحدثين في توثيق نصوص الأحاديث النبوية الشريفة ومن أبرز مناهجهم في التحصيل العلمي . ولعل الرحلة في طلب الحديث هى الأصل الذي انبثق عنه ما يعرف اليوم في أوساط العلماء والباحثين المعاصرين بالبحث الميداني الذي يعده الباحثون من أقوى المناهج في توثيق المعلومات والتحقق من مدى صدقها.

كما أن التزام المحدثين مناهج معينة ومحددة ودقيقة لقبول الحديث الشريف أو رده وإجتهادهم في تطبيق تلك المناهج قد مكنهم من توثيق نصوص الأحاديث النبوية الشريفة بصورة محكمة . ومن أمثلة هذه المناهج التي يسرت لهم سبيل توثيق الأحاديث النبوية الشريفة ونفي الخبث عنها ما يلي:-

أ – الحرص على السماع من مشاهير العلماء والمذاكرة مع الثقات وعرض الأحاديث عليهم كما رأينا في سيرة كل من الإمام أحمد بن حنبل، والإمام وكيع بن الجراح والإمام أبي داود والإمام الأوزاعي وغيرهم.

ب – الحرص على نشر الحديث بين العامة والخاصة وبيان اختلاف طرقه.

جـ – اختبار الراوي للتأكد من مدى حفظه ونباهته وتيقظه كما فعل يحيى ابن معين عند رحلته لأبي نعيم الفضل بن دكين.

د – عدم الرواية إلا عن الثقات والتشدد في ذلك مع اشتراط هذا الشرط في كل رجل من طبقات السند كما اتضح لنا ذلك من قول عبد الرحمن بن مهدي: "كنت مع سفيان عند عكرمة فجعل يوقفه في كل حديث توقفاً شديداً ".

هـ – الحرص على تطهير النفس وتهذيب السلوك الشخصي عند طلب العلم.

و – الاعتزاز بالعلم وعدم بذله لمن لا يستحقه.

كل ذلك يدل على أن رحلة المحدثين في طلب الحديث قد ساهمت مساهمة فعالة في توثيق نصوص الأحاديث النبوية الشريفة بعكس ما ادعى مارغليوث.

أما ادعاء مارغليوث أن الأحاديث التي جمعها المحدثون الذين رحلوا في طلب الحديث لا يمكن إثبات نسبتها للنبي ρ فيبطله ما عرف من صدق هؤلاء المحدثين وعدالتهم الشخصية، بجانب قبولهم وتطبيقهم الحرفي للمناهج القويمة التي ارتضاها علماء المصطلح وحرصوا على تطبيقها عند قبول الأحاديث أو ردها حيث اشتملت شروطهم لقبول الحديث على ما يلي: اتصال السند، عدالة الرواة وضبطهم ، عدم الشذوذ وعدم العلة، كما اشترط بعضهم المعاصرة واللقيا.

وفي ضوء هذه المناهج التي طبقها الرحالة حرفياً على ما جمعوا من أحاديث يتضح للقاريء أن الأحاديث الصحيحة التي جمعها هؤلاء المحدثون الذين رحلوا في طلب الحديث يصح نسبتها للنبي ρ بأدلة قوية وحجج وبراهين ثابتة عكس ما ادعى مارغليوث.

الخاتمة

لقد هاجم المستشرق الإنجليزي مارغليوث المحدثين الذين رحلوا في طلب الحديث النبوي الشريف، وزعم أن الرحلة في طلب الحديث بدعة اختلقها الصحابة رضوان الله عليهم في أواخر عصرهم ، وتبناها التابعون واتباعهم من بعدهم. كما ادعى أن الرحلة في طلب الحديث لم يكن لها أثر في حفظ السنة، وتجرأ وقال: إنها سخافات!.

لكن اتضح لنا من خلال هذا البحث : إن الرحلة في طلب الحديث لها جذور في كتاب الله الكريم وسنة رسوله المطهرة ، وإنها كانت قائمة في عهده ρ من أجل معرفة تعاليم الدين الإسلامي الحنيف . أما في عهد الصحابة والتابعين واتباعهم فقد كثرت رحلات العلماء في طلب الحديث لأسباب عديدة منها : جمع الأحاديث النبوية الشريفة وتوثيقها وتدوينها ، ومذاكرة الأحاديث وعرضها على الشيوخ المشهورين ، وغير ذلك من الأسباب الوجيهة كما اتضح لنا من خلال هذا البحث . وهذا يدل على فساد زعم مارغليوث: إن الرحلة لم يكن لها أثر في توثيق الأحاديث النبوية الشريفة.

أما عن زعمه بأن الأحاديث التي جمعها المحدثون الذين رحلوا لا يمكن نسبتها إلى رسول الله ρ، يبطله ما رأيناه من صدق هؤلاء المحدثين الذين رحلوا، وعدالتهم الشخصية ، بجانب قبولهم وتطبيقهم للمناهج القويمة التي ارتضاها علماء المصطلح في قبول الحديث أو رده.

وبهذا تتساقط وتتداعى جميع الافتراءات التي ساقها المستشرق مارغليوث.

فهرس المصادر والمراجع

1- إرشاد الفحول ، الشوكاني ، مطبعة البابي الحلبي 1356هـ .

2- البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها ، الدكتور/ عزت علي عطية، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية عام 1400هـ .

3- تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان ، بدون تاريخ.

4- تاريخ الخلفاء ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية بمصر ، الطبعة الثانية عام 1393هـ .

5- تدريب الراوي شرح تقريب النووي ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار الكتب الحديثة بمصر ، الطبعة الثانية عام 1966م .

6- تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان، بدون تاريخ .

7- تهذيب التهذيب ، ابن حجر ، طبعة الهند ، بدون تاريخ .

8- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، لأبي الحجاج جمال الدين بن يوسف بن عبد الرحمن المذي ، تحقيق عمرو سيد شوكت ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان . بدون تاريخ .

9- التفسير الكبير ، الإمام محمد الرازي فخر الدين وبهامشه تفسير العلامة أبي السعود، المطبعة الشرقية الطبعة الثانية عام 1324 هـ .

10- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي، مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة الأولى عام 1366هـ .

11- الجرح والتعديل ، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى عام 1271هـ .

12- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ابو نعيم الأصبهاني ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة عام 1400هـ-1980م.

13- الرحلة في طلب الحديث ، الخطيب البغدادي تحقيق نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى عام 1395هـ-1975م .

14- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ، محمد بن جعفر الكتاني، دار البشاير الإسلامية ، الطبعة الخامسة 1414هـ - 1993م .

15- السنة قبل التدوين ، الدكتور / محمد عجاج الخطيب ، مكتبة وهبة بمصر، الطبعة الأولى عام 1393هـ-1963م .

16- سيرة البخاري ، تأليف الشيخ عبد السلام المباركفوري ، منشورات الجامعة السلفية، الهند، الطبعة الأولى 1406هـ -1986م .

17- سير أعلام النبلاء، الذهبي تحقيق صالح السمر ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ، عام 1403هـ -1983م .

18- شرف أصحاب الحديث، الخطيب البغدادي ، تحقيق الدكتور/ محمد سعيد خطيب أوغلي، دار إحياء السنة النبوية عام 1389هـ 1976م .

19- صحيح البخاري بشرحه فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ، تصحيح وتحقيق عبد العزيز عبد الله بن باز —دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.

20- صحيح مسلم بشرح النووي ، طبع دار الفكر عام 1401هـ - 1981م.

21- علوم الحديث ومصطلحه ، الدكتور / صبحي الصالح ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة 1977م.

22- الكفاية في علم الرواية ، الخطيب البغدادي تقديم محمد الحافظ التيجاني مراجعة عبد الحليم محمد عبد الحليم وعبد الرحمن حسن محمود ، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

23- لسان العرب ، ابن منظور محمد بن كرم ، طبعة دار صادر ، بيروت، لبنان ، بدون تاريخ.

24- مختصر سنن أبي داود ، الحافظ المنذري ، ومعالم السنن لأبي سليمان الخطابي وتهذيب ابن القيم تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان، عام 1400هـ – 1980م .

25- المستدرك على الصحيحين ، الإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم ، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

26- مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه (منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال)، مطبعة المكتب الإسلامي دار صادر ، بيروت، لبنان، بدون تاريخ .

27- مشاهير علماء الأمصار ، محمد بن حبان البستي عني بتصحيحه فلايشهمر، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بدون تاريخ.

28- معجم البلدان ، الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1410هـ –1990م.

29- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، حققه وضبطه مصطفى السقا ، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ –1983م .

30- معرفة علوم الحديث ، الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري تصحيح ومراجعة السيد معظم حسين ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت، بدون تاريخ.

31- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، الطبعة الأولى ، مطبعة عيسى الحلبي 1383هـ.

فهرس الموضوعات